المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢

تقدم الجغرافية

في القرن التاسع عشر

من قلم العالم جلبرت جروزفنر

كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط ترسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة . فما جاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءا تقريباً فبقي جزء من احد عشر مجهولاً (انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة) . والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الاً في جهة قطبي الارض الشمالي والجنوبي

والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الاول اشتهر باكتشافاتهِ البحرية والثاني اشتهر باكتشافاتهِ البرية كما يتبين مما يأتي

افريقية

كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من اوربا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل اوربا الجنوبي على مسافة الف ميل وما ذلك الاَّ لان رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتوغال يشيحن باوجههن عنها ويتزاحمن على الاستعمار في أطراف اميركا والهند السحيقة وانما قصدن افريقية للاتجار بالرقيق فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل لفنستون وستنلي وباكر وسبيك ومنجو وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لابد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول اوربا كل ميل منها الى املاكهن

بالطرق السلمية ماعدا المغرب الاقصى والحبشة على حين ان استعمار اميركا والهند كلفهن الوف الرجال وبدرات الاموال

واهم ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الاربعة العظيمة وهي النيجر والزمبيسي والنيل والكنجو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الاحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبشة (الاتبرة) ثم سار حذاء النهر حتى ملتقاهُ بالنيل قبلي بربر واستأنف السير من هناك الى القاهرة · اما الآن فقد اكتشف مجرى النيل على مدى طولهِ مسافة ٣٤٠٠ ميل · واكتشف ما طولهُ ٢٦٠٠ ميل من النيجر وبقي قسم صغير في اواسطهِ لم يكتشف بعد وما طولهُ ١٥٠٠ ميل من الزمبيسي ونحو ٣٠٠٠ ميل من الكنجو وهو نهر لا يفوقهُ حجماً الاَّ نهر الامازون في اميركا الجنوبية

اما مكتشف مجرى النيجر فجراح انكليزي اسمهُ منجو بارك انتدبتهُ الجمعية الافريقية الانكليزية لذلك فسافر من غمبيا في غربي القارة سنة ١٧٩٦ الى مسافة مئات من الاميال وعاد الى انكلترا ثم استأنف السير سنة ١٨٠٥ فقطع نحو الفي ميل من النهر بقاربهِ ومعهُ اربعة من الرفاق حتى اذا كاد يبلغ منابعهُ هاجم الاهالي قاربهُ فانقلب بهِ وغرق قبل ان يدرك غايتهُ ويبلغ امنيتهُ

وبعد موت بارك قام دنهام وكلابرتون فسافرا من فزَّان جنوباً الى الصحراء الكبيرة واكتشفا بحيرة تشاد ثم سارا الى سكوتو على النيجر · وتلاهما سائح فرنسوي اسمهُ كالييه فوصل مدينة تمبكتو سنة ١٨٢٨. ثم سائح آخر اسمهُ نختجال فسار من النيجر الى بحيرة تشاد وتوجه شرقاً ماراً في وداي ودارفور والسودان المصري

على ان من اعظم المكتشفين لفنستون الرحالة الانكليزي الشهير فانهُ سافر الى افريقية سنة ١٨٤٠ وكان طبيباً مرسلاً فبدأ سياحتهُ من مدينة الراس وظلَّ يتوغل شمالاً فما جاءت سنة ١٨٤٩ حتى كان على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة مفكنج جنوباً و١١٠٠ ميل من مدينة الراس · واكتشف بحيرة نجامي وما زال يوالي السفر حتى بلغ ساحل الاتلنتيكي عند مدينة لواندا ثم عاد الى نهر الزمبيسي واكتشف الشلالات التي سماها باسم الملكة فكتوريا وبحيرتي نياسا وشيرا اللتين يجري نهر الزمبيسي منهما

وسنة ١٨٥٩ سافر الضابطان الانكليزيان برتون وسبيك من زنجبار قصد اكتشاف بحيرة كثر التحدُّث بها في تلك الايام فبلغا بحيرة تنجنيكا ثم عادا الى زنجبار وافترقا فسافر برتون جنوباً وسبيك شمالاً برفقة صديق لهُ واكتشفا بحيرة فكتوريا نيانزا سنة ١٨٦١ · وفيما كانا

يدوران حولها وجدا نهرًا كبيرًا يخرج منها (البحر الابيض) ويجري شمالاً فسارا حذاءهُ حتى التقيا بالسر صموئيل باكر (باشا) وكان قد قدم من الخرطوم واستأنف باكر المسير غربًا حتى اكتشف بحيرة البرت نيانزا . وهذه البحيرة وبحيرة فكتوريا نيانزا هما البحيرتان اللتان يستمد النيل اكثر مائهِ منهما

وفي سنة ١٨٦٥ قصد لفنستون بحيرة تنجنيكا واكتشف بحيرتين اخريين ثم انقطعت اخبارهُ عن اوربا فأوفد المستر غوردون بنيت صاحب جريدة نيويورك هرالد الرحالة ستنلي للتفتيش عنهُ كما هو معلوم فسافر ستنلي من زنجبار غربًا حتى بلغ يوجيجي على ساحل بحيرة تنجنيكا الشرقي فوجدهُ فيها · ودار ستنلي حول بحيرة فكتوريا نيانزا ثم اكتشف بحيرة البرت ادورد وتوجه غربًا فبلغ نهر الكنجو وسار حتى ساحل الاتلنتيكي · وفي سنة ١٨٧٨ عاد يسعى في اجتياز افريقيا من الغرب الى الشرق للتفتيش عن امين باشا او انقاذهِ · فسافر من مصب الكنجو فرأى في سفرتهِ هذه جبال القمر

وتلاهُ سياح وروّاد آخرون فاكتشفوا بلادًا اخرى مجهولة منهم دونلدسن سمث فانهُ سافر من بربرة واكتشف الارض الواقعة بين بحيرة رودلف والنيل · ومنهم جروجان فانهُ اجتاز القارة من مدينة الراس الى القاهرة فكانت سياحتهُ هذه خاتمة الاسفار الافريقية المشهورة التي تمت في القرن الماضي

الاصقاع المتجمدة الشمالية

كان لروّاد الاصقاع المتجمدة الشمالية في القرن الماضي ثلاث غايات يرمون اليها الاولى اكتشاف طريق شمالية غربية توصل الى الهند · والثانية اكتشاف طريق شمالية شرقية · والثالثة بلوغ القطب الشمالي · اما الغايتان الاولى والثانية فتمتا لهم فان مكلور اكتشف طريقًا صعبة من بوغاز بيرين الى اوربا بين سنة ١٨٥٠ و١٨٥٣ والبارون نوردنسجولد العالم الاسوجي سار حذاءه ساحل آسيا فوصل الاوقيانوس الباسيفيكي وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ · الى ان اكتشاف تينك الطريقين لم يُفد الناس فائدة تذكر ولا يبعد ان الطريق الثانية تفيد تجار الخشب والفرو وما اشبه من حاصلات البلدان الشمالية متى تقدمت تجارة سيبيريا

بقيت الغاية الثالثة اي اكتشاف القطب الشمالي وهي وان لم تتمَّ بعد الاَّ انها كادت تتمُّ على ايدي ابطال المكتشفين . مثل هول ولوكوود ونَنسن وامبروزي فان كلاًّ منهم تقدم نحو القطب عن سالفهِ حتى لم يبقَ بين القطب وآخر مرحلة بلغوها سوى ٣ درجات و٢٧ دقيقة وكان قد سبق هؤُلاء الاربعة نفر من الرجال فاكتشفوا اماكن عديدة لم تكن قد اكتشفت

بعد اشهرهم مكنزي وبري وفرنكلين وروس . على ان أفجع اخبار تلك الاسفار ما المَّ بالسر جون فرنكلن ورفاقهِ وكانوا ١٢٨ نفساً . وتحرير الخبر انهُ ركب سفينتين هو وجماعتهُ في شهر مايو سنة ١٨٤٥ ثم انقطع خبرهم وامحى اثرهم . وعرف فيما بعد ان الجمد سدَّ المسالك على سفينتهم فمات فرنكلين في يونيو سنة ١٨٤٧ وكان عند جماعتهِ حينئذٍ زاد يكفيهم سنة ومات ٢٤ نفساً منهم ولما كان الجمد لا يزال يكتنف السفينتين عقدوا النية ان لا ينتظروا ذوبانهُ بل يفتحوا لانفسهم طريقاً . ولم يعلم شيءٌ عنهم بعد ذلك مع ان حملات كثيرة ارسلت برًّا وبحرًا للتفتيش عنهم في كل الجهات حتى اذا كانت سنة ١٨٥٤ التقى الرحالة راي بشابٍ من الاسكيمو فاخبرهُ هذا ان قومهُ رأَوا منذ اربع سنوات ٤٠ رجلاً ابيض يجرُّون قارباً في مكان معلوم . ولم يمضِ على ذلك اشهر قليلة حتى عثر الرحالة المذكورة على ثلاثين جثة من جثثهم

وفي سنة ١٨٥٠ أُرسل مكلور وكولنسن للتفتيش عن سائر المفقودين من رجال الحملة من الغرب الى الشرق فلقي حملة قادمة من الشرق بقيادة السر ادورد بلتشر ولم يرَ هو ولا غيرهُ اثرًا لفرنكلين ولا سمعوا بما جرى لهُ مع انهم والوا البحث والتنقيب تسع سنوات متتابعة. الاَّ ان امرأَة فرنكلين لم تيأَس فجهزت سنة ١٨٥٩ حملة سارت بقيادة مكلنتوك فعثرت على هيكل انسان في بلاد الملك وليم وتوصل هوبسون الى معرفة ما جرى للحملة من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٨. وكانت نتيجة هذه الحملة معرفة مواقع الجزر الممتدة على الساحل الشمالي من اميركا الشمالية

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

حول القطب الجنوبي بقعة لم تطأها قدم انسان بعد وهي ضعف اوربا مساحةً ولا يعلم ما اذا كانت ارضاً يابسةً او بحرًا كبيرًا

واهمُّ الذين قصدوا تلك الاصقاع للاكتشاف الكبتن سمث فانهُ اكتشف جزائر شتلاند الجنوبية سنة ١٨١٦ وتلاهُ كثيرون غيرهُ واكتشفوا اراضي اخرى ابعدها على عرض الدرجة الثامنة والسبعين وكان الذي بلغ هذا العرض السر جيمس روس من مشاهير المكتشفين في الاصقاع الشمالية كما تقدم وذلك سنة ١٨٤٢ . ولم يتجاوز احد هذا الحدَّ الاَّ بورشجرافنك سنة ١٨٩٩ فانهُ بلغ عرض ٧٨° و ٥٠َ . وهذا اقصى ما وصل اليهِ انسان في تلك المجاهل السحيقة حتى آخر القرن الماضي

استراليا

استراليا قارة تساوي الولايات المتحدة الاميركية مساحة وعدد سكانها الانكليز الآن ستة ملايين لا غير. وفي اواخر السنة الاخيرة من القرن الماضي اتحدوا والفوا حكومة مستقلة

استقلالاً ادارياً . وقد كانت استراليا في السنة الاولى من القرن الماضي بلاداً مجهولة تسكنها قبائل همجية منحطة في سلَّم المدنية وجماعة من الانكليز متفرقة على ساحل البلاد المعروفة اليوم باسم نيوسوث ويلس واما سائر اقسام القارة فلم يكن يعرف عنها شيء

وفي اوائل القرن الماضي اكتشف الكبتن كنغ مصابّ انهر استراليا وسواحلها الشمالية والغربية وما بينها . وقام بعدهُ ستيوارت فاكتشف نيوسوث ويلس واوغل في القارة حتى بلغ اواسطها وعاد فجدَّد الكرة واجتازها من جهة الى جهة سنة ١٨٦٢ فكان اول ابيض فعل ذلك وتلاهُ كثيرون فاكتشفوا اماكن مجهولة حتى لم يبقَ من القارة سوى اماكن قليلة لم تكشف ومعظمها صحارى قاحلة

اميركا الشمالية

اهمُّ الاكتشافات الجغرافية التي جرت في القرن التاسع عشر كان في اميركا الشمالية وخصوصاً الولايات المتحدة الغربية . ومعظم الفضل في ذلك عائد على المستعمر والمعدِّن لا على الجغرافي ولا السائح المكتشف . وقد كانت البلاد الواقعة غربي نهر مسسبي والجبال الصخرية في جملتها مجهولة سنة ١٨٠١ . فكانت كتب الجغرافية المعروفة حينئذٍ تصف اميركا الشمالية بانها بلاد " معظمها سهولة مستوية قليلة الانحدار ليس فيها من الجبال الشامخة غير الجبال الواقعة نحو القطب والجبال التي تخرق الولايات المتحدة الشرقية وتسمى جبال اليغاني "

الاَّ ان كثيرين من الرواد والمكتشفين ساعدوا في اكتشاف بعض الاماكن المجهولة مثل وادي نهر مسوري والجبال الصخرية وكليفورنيا وغيرها. ومن اولئك الرواد فريمونت ولويس وكلارك وبيك وبونفيل وبويل وغيرهم كثيرون

اميركا الجنوبية

ليس بين القارات الستِّ قارة يجهلها الناس الآن مثلما يجهلون هذه القارة مع انها كانت منذ مئة سنة اشهر القارات واعرفها ماعدا اوربا . فان الجزويت أوغلوا فيها بطريق الانهر التي تخترقها من كل جانب حتى بلغوا قلبها ورسموا خرائط الاماكن التي مروا بها

ومن اشهر مكتشفيها همبلت المشهور فانهُ ساح في كثير من بلادها وكان اول من توسع في تفسير كلمة " جغرافية " فأطلقها على وصف اقليم البلدان وهوائها وتوزُّع الحيوان والنبات فيها وطبيعة تربتها ولم يقتصر على رسم الانهر والجبال وغيرها كما ترسم الخرائط عادة . وتلاهُ مكتشفون آخرون مثل سبيكس ومارتيوس وشومبرج وكريفو فاكتشفوا كثيراً من الاماكن التي لم تكتشف قبلاً فصارت اميركا الجنوبية على مانراها الآن

اسيا

كان ماركو بولو الاوربيّ الوحيد الذي جاب جزءًا كبيرًا من اسيا قبل سنة ١٨٠٠. وما استهلّ القرن التاسع عشر حتىّ أمّها المكتشفون من كل ملة ونحلة ورسموا خارطتها فجاءت مضبوطة في مجملها وأوفدت روسيا عددًا عديدًا من الرجال للاكتشاف من الشمال الشرقي فقامت انكلترا تناظرها وارسلت رجالها من الجنوب. وربما كان اكتشاف مجاهل اسيا اصعب مراسًا وأبعد منالاً من اكتشاف مجاهل افريقية او استراليا او اميركا الشمالية لان الاجنبيّ كان يلقى فيها مئات من ملايين الشعوب والقبائل التي تختلف في طباعها واخلاقها عن متوحشي افريقية فتقف في سبيلهِ وتحول دون تقدمهِ

وفي سنة ١٨٢٩ دخل همبلت اواسط اسيا وسواحل بحر قزبين. وعقبهُ المرسل الفرنسوي هوك فعبر بلاد التبت سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ وأقام عدة اشهر في لاسًا عاصمتها. وساح بلجراف في بلاد العرب حوالي سنة ١٨٦١ واجتازها من جهة الى جهة. ثم قام السائح جارنييه المشهور وساح في كمبوديا والصين وقطع اكثر من ٥٠٠٠ ميل في بلاد لم يعرفها الغربيون قبلاً. وتلاهم كثيرون غيرهم مثل سفن هدن ورشتوفن وروكهل فاكتشفوا اقاليم كثيرة ومسحوها وعينوا مواقعها في الخارطات فاصبحت اسيا وهي تكاد تعرف كلها

الخاتمة

وغاية القول ان تقدم الجغرافية في القرن التاسع عشر كشف خبايا كل زاوية من زوايا الارض امام اهالي اوربا واميركا. بل ان تقدم العلوم الجغرافية فيهِ أماط النقاب عن اصل الارض وكيفية تكوُّنها. فان علم الجيولوجيا الذي يبحث في طبيعة قشرة الارض وتكوُّنها يخبرنا عن الدور الجليدي ويدلنا بواسطة البقايا المتحجرة على ان الحياة ظهرت في الارض منذ الوف الملايين من السنين. ثم ان علم الظواهر الجوية الذي يبحث في احوال الهواء المحيط بالارض وعلم اعماق البحر انما هما نتيجة تقدم الجغرافية في القرن الماضي. وسيكون مدار بحث الانسان في هذا القرن على سبر غور البحار لحلّ اسرارها وهتك استارها

* * *

الجواد العالِم

كثر كلام الصحف في الشهر الماضي وما قبلهُ على جواد في برلين يقال انهُ يفهم ما يخاطب بهِ ويُسأَل بعض المسائل الحسابيَّة فيجب عنها بالدقة التامَّة . وقد كتب بعضهم رسالة من برلين الى مجلة المجلات الانكليزية في ٢١ سبتمبر الماضي قال فيها ما خلاصتهُ

لقد أُعطي هذا الجواد قوة التمييز . ويظهر هذا القول مدهشًا في بادىء الرأي ولكن لجنةً من اكبر الثقات في علم الطب البيطري تألفت لتحقيق ما يدَّعيهِ صاحبهُ وهو رجل من سكان شمالي برلين اسمهُ فن استن عكف منذ اربع عشرة سنة على درس غرائز الحيوانات ورأى منذ اربع سنوات ان جوادًا روسيًّا من خيلهِ يميز كالعقلاء فجعل يعلمهُ ساعةً كل يوم فبلغ بهِ مبلغًا يفوق التصديق . وهو اصلاً من معلمي المدارس فاستخدم في تعليمهِ الوسائل التي تُستخدم في المدارس الابتدائية اي اللوح الاسود والطباشير والاشياء التي يُعلَّم بها الصغار اسماء الالوان والروائح وما اشبه فعلَّمهُ كيفية جمع الارقام الحسابية وطرحها وضربها وقسمتها وهو يعلمهُ الآن الحساب العشري والنسبة البسيطة

وقد أُذن لي في فحص هذا الجواد مع اللجنة التي عينت لفحصهِ فزال من نفسي كل ما كان يخامرها من الريب لان افعالهُ اوضح من ان يكون فيها شيءٌ من الخداع . وقد استعان صاحبهُ على تعليمهِ برجل اسمهُ شلنغس وهو من من النابغين في تدبير الحيوانات فكان الجواد طوع امرهِ في كل شيءٍ . وهو الآن يقرأُ الكلمات المكتوبة ويميز بين انواع النقود ويعرف الوقت في الساعة واذا رأى صورة فوتوغرافية ثم رأى صاحبها بين جماعة ميزهُ عن غيرهِ

ولا ينطق ولكنهُ يجيب بالاشارات فاذا اراد ان يقول نعم حنا رأسهُ واذا اراد ان يقول لا نغضهُ ويدل على الاعداد بضرب حافر يدهِ اليمنى على الارض واذا اراد تأكيد شيءٍ ضرب ايضًا بحافر يدهِ اليسرى . مثال ذلك ان صاحبهُ سأَلهُ كم هو مجموع اثنين واثنين فضرب اربع ضربات بحافر يدهِ اليمني فقال لهُ صاحبهُ بل المجموع خمسة فاعاد الجواد بضرب اربع ضربات بيدهِ اليمنى وايدها باربع ضربات بيدهِ اليسرى

ثم طلب منهُ ان يقرأَ كلمات كتبت لهُ على لوح فقرأَها او عرف اين هي مثلاً كتبت اللجنة كلمات مختلفة وجعلت تلفظها لهُ كلمة كلمة من غير ترتيب وكلما لفظت كلمة دلَّها عليها . وعمل عملاً في الحساب العشري من غير غلط

ووُضعت امامهُ سلَّة كبيرة فيها خرق مختلفة الالوان فجعل يختار منها الخرق الملونة بالالوان

المطلوبة. وسئل كم واحد من الحضور بنظارات وكم منهم بغير بنظارات فاجاب من غير خطا. وطُلب منهُ ان يشير الى سيدة على رأسها برنيطة خضراء فاشار اليها. وحاول بعض الضباط خداعهُ فاراهُ ريالاً وسألهُ كم الساعة فلم ينخدع. وطُلب منهُ ان يأخذ خرقة كبيرة وينظف معلفهُ بها فيعطى ما يحبهُ من الطعام فالتفت يفتش عن خرقة فوجدها في يد معلمهِ فأخذها منهُ وباسهُ كأنهُ يشكرهُ على ذلك ثم اسرع الى معلفهِ وجعل ينظفهُ بها وينفضها من الغبار وعاد الى صاحبهِ يطالبهُ بما وعدهُ بهِ ووقف ينتظر احضار الطعام لهُ بفارغ الصبر

وقد اراد بعض الاميركيين مشترى هذا الجواد ودفعوا ثمنهُ سبعة الآف وخمسماية جنيه فأبي صاحبهُ بيعهُ لان ليس غرضهُ الكسب بل تحقيق الامور العلمية. انتهى

وجاء في الجريدة المسماة عمل العالم ان هذا الجواد يميز بين المعادن المختلفة فاذا أُري قطعاً مختلفة من الذهب والفضة والنكل والنحاس ميز بينها بالضرب بحافرهِ فانهُ يضرب ضربةً واحدة للذهب وضربتين للفضة وثلاثاً للنكل واربعاً للنحاس. وأُري ريالاً قيمتهُ خمسة ماركات وقيل لهُ كم ريال منها تساوي ذهباً قيمتهُ عشرون ماركاً فضرب بيدهِ اربع ضربات. ويدل على الحروف الهجائية باعداد تقابل وضعها في الابجدية فالحرف الاول عددهُ واحد ولهُ ضربة والثاني عددهُ اثنان ولهُ ضربتان وهلمّ جرًّا. واذا سألتهُ عن الوقت وكانت الساعة ١١ ونصفاً ضرب بيدهِ احدى عشرة ضربة وانتظر هنيهة ثم ضرب ثلاثين ضربة اي ثلاثين دقيقة. ويقال انهُ في قواهُ العقلية مثل ولد عمرهُ ثلاث عشرة سنة

هذه خلاصة ما جاء في مجلّة المجلاَّت. وجاء في جريدة السينتفك اميركان ما ينطبق على ذلك ولكنهُ مثلهُ خالٍ من التدقيق العلمي وبعضهُ في غاية الغرابة يُستَبعَد حتى من العقلاء الذين لم يزاولوهُ مدة كمعرفتهِ اوراق اللعب ورقة ورقة ونسبة بعضها الى بعض ومعرفتهِ الدراهم الممسوحة من غير الممسوحة وقيل فيها ان الدكتور هنروث مدير بستان الحيوانات في برلين فحصهُ فحصاً مدققاً واقتنع بصحة ما ينسب اليهِ وبان ليس في الامر شيء من الخداع

ولم نقف حتى الآن على تعليل هذه الافعال لعالم نثق بهِ. واذا كانت خالية من كل خداع كما يقال امكن تعليلها بان صاحب الجواد او معلمهُ يتسلَّط على ارادتهِ تسلط المنوِّم على المنوَّم فيأمرهُ بالحركات التي يريدها ولو عن غير قصد ويشير اليهِ بالرضى متى اتمها. وقد يفعل ذلك عن غير قصد او لا يشعر انهُ فعلهُ. ومعلوم ان الحيوانات الاليفة كالكلاب تنظر الى وجوه اصحابها وتفهم مرادهم من مجرَّد نظرها وتفهم ما يبدو فيها من امارات الاستحسان والاستهجان فلا يتعذر عليها ان تفعل ما يفعل هذا الجواد

كتاب روزبري عن نبوليون

(٤) مسألة المال

قال اللورد روزبري "اننا اطلنا الكلام في مسألة اللقب لانها اصل كل الشرور فننتقل منها الى المسألة المالية وهي لحسن الحظ عرضية ولعلها كانت تابعة لمسألة اللقب كأن الوزارة الانكليزية قالت في نفسها انها ان ابقت لنبوليون لقب امبراطور اضطرت ان تنفق عليهِ نفقات طائلة ليقوم بمقتضيات ذلك اللقب ولكن كانت الحرب كثيرة النفقات فيجب ان يكون الاسير قليلها لاسيما انها كانت تنفق على السر هدصن لو اثني عشر الف جنيه في السنة فجعلت نفقات نبوليون وحاشيتهِ وعددها واحد وخمسون نفساً ثمانية الآف جنيه في السنة وقالت ان احتاج الى اكثر فلينفق من جيبهِ. ولقد كان ينفق من جيبهِ لان نفقاتهِ بلغت ١٨٠٠٠ او ١٩٠٠٠ جنيه في السنة هذا مع الاقتصاد الشديد لغلاء كل شيء في تلك الجزيرة فان ثمن الاشياء فيها كان اربعة اضعاف ما هو في غيرها. ولما رأى لو غلاء الاسعار جعل نفقات نبوليون مثل نفقاتهِ اي ١٢٠٠٠ جنيه في السنة وهو في ذلك اكرم من رئيسهِ لورد بثرست وزير الحربية والمستعمرات لان لورد بثرست امرهُ ان لا يدفع من نفقات نبوليون سوى ٨٠٠٠ جنيه في السنة. وبلغ نبوليون ذلك فقال ليفعل ما يشاء بشرط ان لا يكلمني في هذا الموضوع. لانهُ كان يخشى ان يصل الخبر الى اوربا فيعود بالعار على فرنسا. وكان يفعل هناك كما كان يفعل وهو على سرير الملك اي انهُ كان يستدعي وكيل الخرج اليهِ ويطلّع على حسابهِ بالتدقيق ويقلل النفقات جهدهُ ولكنهُ لم يشأ ان يتذاكر في هذا الموضع مع سجانهِ

وزار نبوليون المائدة التي كان يأكل عليها اتباعهُ فرأى الطعام قليلاً لا يقوم بهم ولعلهم فعلوا ذلك قصداً فامر وكيل الخرج ان يبيع ما عندهُ من الآنية الفضيَّة فباع جانباً منها ولو نفسهُ حدَّد الثمن الذي بيعت بهِ. وقدّم الطعام الى نبوليون في صحاف من الخزف فاعتراهُ الخجل وعاف الاكل الاَّ ان وكيل الخرج كان قد خالف امر مولاهُ ولم يبع كل الصحاف بل ابقى جانباً منها فاتاهُ بالطعام فيها في اليوم التالي فسرَّ بذلك واكل على جاري عادتهِ

ويقال انهُ لما بيعت آنية نبوليون اوجس لو شرًّا وندم على ما فعل لانهُ خاف من ملامة الناس لهُ"

قال لورد روزبري "ان كل ما حدث كان من قبيل المغايظة فان نبوليون لم يكن مضطرًّا ان يبيع اناء واحداً لانهُ كان لهُ اموال طائلة في باريس وفي جزيرة القديسة هيلانة نفسها

ومع ذلك لا نلومهُ على ما فعل لانهُ حارب خصومهُ بسلاحهم على اسلوب تتجهُ فيهِ الانظار اليهِ فان بيعهُ لآنيتهِ الفضية لابد من ان يشيع في الجزيرة كلها وتنتقل اخبارهُ الى اوربا فيشدد الناس النكير على الحكومة الانكليزية وقد نجح في ذلك. وحدث بعد هذا ان قلَّ الوقود عندهُ فامر خادمهُ ان يكسر سريرهُ ويوقدهُ وشاع الخبر في الجزيرة حالاً فأُسقط في يد لو وصار يتجنب مغاضبة نبوليون

"وكان نبوليون واسع الحيلة يلجأُ الى هذه الطفائف حينما تدعو الحال اليها مثل غيرهِ من عظام الرجال فكان مثلاً يسرُّ بكتابة مكاتيبهِ من قصور الملوك الذين غلبهم . ويدرس تواريخ بعض قوادهِ ثم يقابلهم وهم في اماكنهم في الجيش ويسميهم باسمائهم ويذكّرهم بما فعلوا فيبتهجون بذلك. وكان في حروبهِ يشيع ان الدائرة دارت عليهِ حتى اذا بلغت الاشاعة وزراءهُ وتولاهم القنوط فاجأَهم باخبار النصر مفاجأَةً . ولما كان في موسكو يحيط بهِ النار والجوع ويتهدَّدهُ البرد والصقيع بعث الى فرنسا كتابة مسهبة عن اصلاح التياترو الفرنسوي لكي يقنع رجالهُ انهُ غير مبالٍ بما هو فيهِ ويقنع فرنسا انهُ يدبر امور المملكة صغيرها وكبيرها وهو في حومة الوغى"

وذكر لورد روزبري حديثاً لنبوليون مع الدكتور اوميرا الانكليزي ورجح صحتهُ وهو قول نبوليون لهُ "ان وزراءكم ارادوا ان ينسى الناس اسمي فاذكروهم بهِ ببخلهم المنتن وسوء تصرفهم ولو عقلوا لاباحوا لي ولرجالي ان ننفق قدر ما نشاء فاسكتونا واسكتوا الناس اجمع ولم تزد نفقاتنا على ١٦٠٠٠ او ١٧٠٠٠ جنيه في السنة". وطلب بعض الكتب التاريخة فارسلتها الحكومة الانكليزية اليهِ وحاسبتهُ بثمنها فلم يشأْ ان يدفعهُ ثم لما توفي استردتها وباعتها بثمن بخس ولو ابقتها لربحت منها ربحاً وافراً لان عليها كثيراً من الحواشي بخطهِ

(٥) تسليمهُ وامرهُ

قال نبوليون وهو في معركة استرلتز الشهيرة "ان الانسان لا يستطيع الحرب الاَّ سنين قليلة فانا لا استطيعها الاَّ ست سنوات اخرى ثم اضطرُّ ان اتنحى عنها". ومن الغريب ان الايام حقَّقت صدق هذا القول فبعد واقعة استرلتز بست سنوات وشهر واحد اعلن الحرب على الروس فآب بالفشل واخذ نجم سعدهِ في الافول من ذلك الحين حتى ظن اعوانهُ انهُ اعتراهُ مرض اضعف همتهُ وثبط عزيمتهُ . ومن المحقَّق انهُ اخذ يسمن وصار يكثر من الاكل والنوم . والظاهر ان السرطان الذي اماتهُ وامات اباهُ من قبلهِ شرع ينمو في معدتهِ فيهيجها لطلب الطعام فزاد اكلهُ وزاد سمنهُ فقلَّ ورود الدم الى دماغهِ وتوليد الافكار فيهِ . وهذا

امرٌ عاديٌّ يصيب كل من كان عصبيًّا نحيفًا . ثم سمن وترهَّل وزاد سمنهُ وهو في جزيرة البا لانهُ انقطع فيها عن الاشغال الشاقة وعكف على الملاذ فاتخذ سمنهُ دليلاً على انكفاء مطامعهِ وضرب على بطنهِ بيديهِ في قصر التويلري وقال للذين حولهُ هل يبقى في الانسان مطامع بعد ان يصير سمينًا مثلي . وثبت لاعوانهِ ان همتهُ فترت وعضب دماغهِ كلَّ عن المضاء فصاروا يتناجون في ذلك واصبحوا يجاهرون بهِ . وجعل وزراؤُهُ يدخلون عليهِ فيجدونهُ نائمًا والكتاب في يدهِ بعد ان كان يبيت الليالي ساهرًا وهو على صهوة جوادهِ . وصار يكثر من الكلام ويفيض في الحديث كلما مل من الشغل العقلي كأَنهُ يجد في الكلام راحة وفكاهةً . وبلغ من ضعف عزيمتهِ انهُ وهو في جزيرة البا انتبه الى خيانة وزيرهِ فوشه ولام نفسهُ لانهُ لم يقتلهُ لكنهُ ابقى عليهِ لما عاد الى باريس ولم ينلهُ بمكروه . وفوشه هذا هو الذي خدعهُ وخانهُ وسلمهُ للانكليز . وكان نبوليون يعلم ذلك ولكنهُ ابقاهُ رئيسًا للبوليس ولم يجسر على الاقتصاص منهُ

ولما استثقل متاعب الملك ودسائس الاعوان وضاق بها ذرعًا خرج بجندهِ للقتال لعلهُ يشفى من مرض الخمول مستشفيًا من داءٍ بداءٍ ولكنهُ فعل فعلَ المقامر الذي تتكرَّر خسارتهُ وتضيق بهِ الدنيا فيخاطر بكل ما يملك دفعةً واحدة عساهُ ان يسترد ما خسرهُ او يبلغ حد الافلاس . ولم يبلغ ميدان القتال حتى خارت قواهُ فلم يعد يعبأُ بالبحث عن مواقع الاعداء ولا يهتم بسرعة الهجوم عليهم مع انهُ فاز في حروبهِ السابقة لاهتمامهِ بهذين الامرين . ولم تدر رحى الحرب حتى قال يظهر انهم اشتبكوا (Il paraît qu'ils sont mêlés) وادار راس جوادهِ وخرج من ساحة الوغى وهرب الى باريس لا يلوي على احد فوصل قصر الاليزه الساعة السادسة صباحًا (في الحادي والعشرين من شهر يونيو) وقال "ان الجيش فعل فعال الابطال ولكن تولاهُ الاضطراب . وبلغ الجنون من ناي انهُ فادى بالفرسان" . ثم ارتمى في حمام من الماء السخن واستدعى وزراءهُ

ورآهُ لا ثالت ذلك الصباح ووصف كيف قابلهُ قائلاً حالما رآني بادر اليَّ وهو يضحك كالمجانين ويقول يا الهي يا الهي ويرفع عينيهِ الى السماء ويمشي حول جدران الغرفة ثم لم تلبث هذه النوبة ان فارقتهُ فثاب اليهِ رشدهُ وسألني عمَّا هو جارٍ في مجلس النواب . وكان يجب عليهِ ان يبادر الى المجلس قبلما يخلع ثيابهُ ويسحرهُ ببلاغة خطابهِ ويأْمر بقتل فوشه لانهُ سبب هذه البلية ولكنهُ لم يفعل ذلك بل عقد مجلسهُ الخاص وفوشه يحرّض حزب المعارضين على مقاومتهِ واعوانهُ وذوو قرباهُ يتوسَّلون اليهِ ليبدي شيئًا من حزمهِ السابق وهو صامت لا يتكلم . وجعل المعارضون والخائنون والمتآمرون يلمُّون شملهم ويجاهرون بمقاومتهِ وهو جالس لا يبدي

ولا يعيد وقد فرغت حيلتهُ وفارقتهُ عزيمتهُ · مركبتهُ واقفة على الباب لتسير بهِ الى مجلس النواب وهو جالس في مكانهِ لا يتحرَّك · واخيرًا قدَّمت اليهِ ورقة التنازل عن المُلْك فامضاها بيدهِ وهو كأنهُ في بحران · فعل ذلك والجنود خارج القصر والشعب كلهُ يناديهِ لكي لا يتركهُ وهو لو قال كلمة واحدة لاستراح من خصومهِ كلهم في ساعة من الزمان او لأحدث في البلاد ثورة كالثورة المشهورة ولكنهُ لم يقل كلمة ولا فعل شيئًا بل ارسل مركبتهُ بين الجموع فارغة وخرج في مركبة اخرى الى قصر مالمازون Malmaison وجلس هناك يقرأ الروايات غير مهتم بالدفاع ولا بالهرب · واخيرًا عرض خدمتهُ على الحكومة الموقتة كجنرال فرفضت طلبهُ وامرتهُ بالخروج من البلاد فاطاع وخرج في ربع ساعة ووصل الى روشفور واقام فيها وهو لا يزال في بحرانهِ لا يعي على شيءٍ · وعرض عليهِ اخوهُ يوسف ان يهرب الى اميركا في سفينة اميركية كانت هناك وكان ذلك ميسورًا لهُ فلم يفعل · وعرض عليهِ الهرب في سفينة هولندية فلم يقبل وكان هناك بارجتان فرنسويتان فعرضتا عليهِ ان يهرب في واحدة منهما وتبقى الاخرى تشغل السفينة الانكليزية عنها لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل سلَّم نفسهُ للانكليز وجلس على ظهر سفينتهم يقرأ في اوسيان Ossian وسارت بهِ السفينة وهو في بحرانهِ الى ان قابلت اوسنت فخرج من غرفتهِ ونظارة في يدهِ ووقف ينظر الى سواحل فرنسا من الساعة السابعة صباحًا الى الظهر اي الى ان غابت تلك السواحل عن نظرهِ فعاد الى غرفتهِ متكئًا على ذراع برتران وهو شاحب الوجه صامت لا يتكلَّم وعاودتهُ نوبات الخمول كل مدة اقامتهِ في جزيرة القديسة هيلانة فكان يقيم ساعات متوالية في فراشهِ او في حمامهِ ولم يعد يلبس ثياب النهار الاَّ بعد الظهر. ومع ذلك كانت الوزارة الانكليزية ونائبها السرهدصن لو في قلق دائم لئلاَّ يهرب من تلك الجزيرة ويقيم الدنيا عليها

وقد اختار الانكليز هذه الجزيرة لانها ابعد الجزائر عن اوربا واقفرها وحصَّنوها حتى صارت امنع من عقاب الجو وظلَّ السر هدصن لو يزيد في تحصينها ووضع المدافع فيها الى وفاة نبوليون مع انهُ قال للوزير كاسلراي قبل مغادرتهِ لندن انهُ لا يرى سبيلاً لهرب نبوليون من تلك الجزيرة الاَّ بخيانة حاميتها

والجزيرة صخر كبير مستدير في وسطهِ سهل بنيت فيهِ مدينة اسمها لنغوود يكتنفهُ خندق عميق يفصلهُ عما حولهُ ولا يوصل اليهِ الاَّ من طريق ضيق عرضهُ اقل من عشرين قدمًا وهو شديد التحدُّر حتى اذا دخل الجزيرة عشرة آلاف جندي فخمسون جنديًا يكفون لمنعهم من الوصول الى مدينة لنغوود ولا يوصل اليها الاَّ بهِ. وهناك آلاي من الجيش وفرقة من المدفعية ·

والحراس يحيطون بالمدينة من كل ناحية ويزيد عددهم ليلاً حتى يصيروا حلقة متصلة حول المدينة وهناك سفينتان حربيتان تطوفان حول الجزيرة نهاراً وليلاً وبارجتان في المرفأين اللذين يمكن ان ينزل منهما الى السفن والحراس على كل قمة من قممها يرون كل سفينة آتية اليها عن بعد ستين ميلاً وكلما رأَوا سفينة اطلقوا مدفعاً فانتبه الحرّاس والجنود والسفن الحربية ٠ ولم يكن يسمح لسفينة اجنبية ان تدنو من تلك الجزيرة مهما كانت ولا لسفينة انكليزية الاّ اذا كانت من السفن الحربية او سفينة مخصوصة آتية بالمؤُونة والميرة للحراس . ومهما كان نوعها لا يسمح لها ان تخابر احداً في الجزيرة لاي سبب كان

ومع هذا الاحتراس والتضييق لم يكن يسمح لنبوليون ان يخطو خطوة في الجزيرة الاّ ووراءهُ حارس انكليزي . واتفق مرةً انهُ خرج راكباً وخرج معهُ برتران وغورغو فتبعهم هذا الحارس وكان اسمهُ بوبلتون وطلب اليهِ برتران ان لا يدنو منهم كثيراً فابى وفيما هو يكلمهُ عدا نبوليون بجوادهِ وتبعهُ غورغو ولم يكن بوبلتون يحسن الركوب فلم يستطع ان يدركهما فاسرع الى الاميرال ككبرن امير البوارج الانكليزية الحارسة الجزيرة وشكا اليهِ امرهُ فضحك الاميرال منهُ ثم قال لهُ كن مطمئن البال ان بوارجي تكتنف الجزيرة حتى لو اراد الشيطان ان يخرج منها لتعذر عليهِ ذلك

ثم لما مرض نبوليون ولم يعد يخرج من غرفتهِ كثرت هواجس لو ووساوسهُ وخُيل لهُ ان نبوليون هرب من لنغوود وتسلّق الصخور ولا يبعد ان تقابلهُ سفينة غواصة تسير تحت الماء فيهرب فيها فكتب اليهِ في ٢٩ اغسطس سنة ١٨١٩ يقول لهُ لا بُدَّ من ان يراك ضابط من الحراس كل يوم ٠ وقد أُمر هذا الضابط ان يدوس كل الموانع التي تمنع ذلك وانهُ اذا عارضهُ احد من حاشية نبوليون في اتمام مأموريتهِ أُخرج ذلك المعارض من الجزيرة حالاً وعُدَّ مسؤُولاً عن كل ما ينتج من فعلهِ . وانهُ اذا لم يرَ ذلك الضابط نبوليون كل يوم حتى الساعة العاشرة صباحاً حق لهُ ان يدخل البيت الذي فيهِ نبوليون والغرفة التي هو فيها عنوةً . فاجابهُ نبوليون انهُ يفضل الموت على هذه الاهانة اي انهُ يقتل الضابط المشار اليهِ حالما يراهُ وكان ذلك في ٢٩ اغسطس ٠ وفي ٤ سبتمبر اضطر لو ان يعدل عن عزمهِ ويستردّ اوامرهُ . وذاق الضابط الامرّين في مراقبة نبوليون فكان يوصوص من صائر الباب او من ثقب مفتاحهِ او من الكوة فيرى برنيطة نبوليون فيحكم انها على رأْسهِ او يراهُ جالساً في حمّامهِ ٠ ورآهُ نبوليون مرةً وهو يرقبهُ كذلك ففتح الباب بغتةً وخرج اليهِ عارياً

وفي يومية هذا الرجل من المضحكات ما يعزُّ نظيرهُ ٠ كتب مرةً انهُ بقي ذات يوم اثنتي

عشرة ساعة واقفاً على قدميهِ قبلما استطاع ان يرى نبوليون . وكتب في يوم آخر انهُ بقي واقفاً عشر ساعات على قصب رجليهِ عرضةً لتهكم الخدم ولم يرَ نبوليون

الى هذا الحد بلغت الحماقة من الوالي حتى جعل ضباطهُ عرضةً للهزء والسخرية في قضاء امرٍ لا داعي لهُ . ومن رأي اللورد روز بري انهُ لم يكن خوف من ان احداً يحاول انقاذ نبوليون لكن الاشاعات كانت كثيرة حينئذٍ عن عزم اناس على بناء سفينة تسير تحت الماء وتصل الى الجزيرة وتنقذ نبوليون منها وكان الوالي يضاعف الحرس كلما بلغتهُ اشاعة من هذه الاشاعات بل كانت الوزارة الانكليزية نفسها تقلق قلقاً شديداً لاشاعات مثل هذه وظلت في قلق الى ان ادركت نبوليون الوفاة . ويقال عن ثقة ان ربان احدى السفن عرض ان ينقذ نبوليون في قارب خلسة ويوصلهُ الى اميركا لكن نبوليون رفض ذلك رفضاً باتاً . وعُرضت عليهِ اساليب اخرى للنجاة فنظر اليها نظر الازدراء . نعم انهُ كان يود ان ينقذ من الاسر ولكنهُ كان يريد ان يحدث ذلك جهاراً بواسطة شريفة يأمن بها على حياتهِ بعد انقاذهِ واما لو هرب هرباً لتعقبهُ خصومهُ اين ذهب واوقعوا بهِ . والظاهر من قول منتلون ان نبوليون كان يعتقد بالقضاء والقدر ويقول ان كل شيء في كتاب مسطور وانهُ لا يموت الاَّ حيث قدر لهُ كأَنهُ يردد قول الشاعر

ومن كانت منيتهُ بارضٍ فليس يموت في ارض سواها

وقال اخيراً لاتباعهِ بعد ان عرضوا عليهِ اساليب مختلفة للنجاة " خير لي ان اموت هنا شهيداً فان ذلك قد يعيد الملك الى ابني اذا بقي حيًّا " . وقال مرةً ان فيهِ بارقة امل بالنجاة اذا قوي حزب المعارضين في البارلمنت الانكليزي وتبوأت الاميرة تشارلوط اريكة الملك . وقد حسب ان هذه الاميرة تميل اليهِ لانها تزوجت بالامير ليوبولد الذي ودَّ مرةً ان يكون ياوراً لهُ

ولم يكن قليل الاماني بل كثيراً ما كان يهجس بالمحال قيل انهُ امر قوَّاد جيشهِ وهو في حرب الروس ان يقودوا بعض الفيالق وهو يعلم انها فنيت ولما قالوا لهُ في ذلك قال لهم لماذا لا تدعونني أُسرُّ باحلامي . ولما هاجمت جنود الاحلاف فرنسا قال للمرشال مكدونلد اني اعتمد على فيلقك فقال لهُ المرشال أَلا تريد ان نستعرض هذا الفيلق فلا يأْخذك استعراضهُ دقيقة لانهُ مؤَلف مني ومن ياور واحد وكل ما عندنا اربعة كراسي قش وطاولة خشب ابيض . وفي معركة سنة ١٨١٤ كان يقول لمارمون اذهب برجالك العشرة الآلاف فقال لهُ مارمون انهم الآن ثلاثة آلاف فقط فلم يلتفت اليهِ بل ظلَّ يقول انهم عشرة آلاف . ومع كل ذلك كان لهُ

مهابة عظيمة في قلوب كل من في جزيرة القديسة هيلانة . قال المندوب الروسي "ان لهذا الرجل المخلوع المأسور المكتنف بالحرّاس والحفّاظ من السلطة على كل الذين يدنون منهُ ما يُعجب ويُدهش فان كل ما في هذه الجزيرة يدلُّ على تفوُّق نبوليون وعظمتهِ . الفرنسويون يرتجفون من رؤيتهِ ويحسبون خدمتهُ منتهى السعادة . والانكليز لا يدنون منهُ الاَّ والرهبة تشملهم حتى حرّاسهُ يتمنون ان ينظر اليهم نظرةً او يكلمهم كلمة وما من احد يستطيع ان يلتفت اليهِ التفات النظير الى نظيرهِ" . وزد على ذلك انهُ كان يدخل اكواخ الاهالي ويجلس معهم ويكلم الخدم والعبيد ويتحفهم بالهدايا ولما رأى الوالي ذلك ضيَّق عليهِ النطاق لئلاَّ تتعلق قلوب السكان بهِ فيعصوا اوامر الحكومة

الزهد في الحياة

في قطيع نعجةٌ قد نتجتْ   حملاً أبيض كالثلج النقي
رأمتهُ وسقتهُ لبنًا   فتقوَّى ناميًا ممَّا سقي
شارفتهُ وعليهِ انعطفت   حفظتهُ كسوادِ الحدقِ
عند ما أَصبح شهرًا عمرهُ   وعن المربضِ لم يفترقِ
جاءَهُ الراعي ومعهُ مدية   وبها ينوي احتزازَ العنقِ
فدعاهُ مستغيثًا خاشعًا   عند ما القاهُ فوق الطبقِ (١)
قائلاً مولايَ رفقًا انني   في حياتي لذَّةً لم أذقِ
ما رعيتُ العشبَ بل مازلتَ من   ضرْعِ أمي من لبانٍ استقي
ما برحتُ السجن يومًا واحدًا   ومع القطعان لم انطلقِ
أعفُ عني سنةً احيا بها   مطمئنًّا في سراح مطلقِ
لا يخاف الفوتُ مني وانا   كل يومٍ عالق بالوهقِ (٢)
فاتقِ الرحمانَ في حقيَ او   فاصنع الرحمة ان لم تتَّقِ

⁂

رفق الراعي بهِ وانطفأت   جمرةٌ في طرْفهِ المغرورقِ

---

(١) الطبق سطح الارض او ماعون مقعر من الخشب مثل الذي يضعهُ الجزَّار تحت العنق ليجتمع فيهِ الدم

(٢) الوهق حبل في طرفهِ انشوطة يطرح على عنق الدابة لتوخذ بهِ

قال فاذهب وارتبع كيف تشا   واذكر الحمدَ لقلبي المشفقِ
فمضى يمرح عامًا كاملاً   ينتشي في البرّ ريحَ الحبَقِ
شاربًا من كلّ وِردٍ سائغٍ   آكلاً من كلّ نبتٍ مورقِ
غاديًا عند تباشير الضحى   رائحًا عند دنوّ الغسقِ
لاجئًا في الحرّ للاظلالـــ او   عائذًا من مطرٍ في نفقِ
يلحق الراعي ويدري انهُ   طعمة السرحان ان لم يلحقِ

⁂

بعد ان مرّت عليهِ سنةٌ   قصد الراعي بقلبٍ قلقِ
قال ماضي العمر قد ادركتهُ   جئتُ كي تخبرني عما بقي
هل أواتي العيش كالماضي تُرى   جزعٌ في نكدٍ في رهقِ (١)
هكذا في سغبٍ (٢) ولغبٍ (٣)   هكذا في نصبٍ او حرَقِ
ابدًا في عطشٍ لا نشرب الـ   ـماء الأَّ مفعمًا بالرنقِ (٤)
ان نغادر فرقًا حاق بنا   لم نغادرهُ لغير الفرقِ
تارةً نهبط للقيعان في   طلب القوت وطورًا نرتقي
في شتاءٍ بردهُ أرهقنا   ما بهِ الأَّ انصبابُ الغَدَقِ (٥)
لا نرى في قبَّة الجوّ سوى   غضب من مُرعدٍ او مُبرقِ
كان اخوانٌ لنا لم ننسهم   جرفوا بالعارض المندفقِ
اقبل الصيف فقلنا انفرجت   فالتقانا بالهجير المحرقِ
ناب عن سيل شآبيب (٦) الشتا   من جلودِ الحيّ سيلُ العرقِ
وعلينا فوق ما نحن بهِ   يرصد الذئب شعاب الطرُقِ
فاذا صادف منَّا غرَّةً   جاءنا ينشبُ ناب الحنقِ
فكأن العمر بحرٌ مزبدٌ   وكأني فوقهُ في زورقِ
ابدًا في خطرٍ يرصدني   ابدًا في حذرٍ من غرقِ

---

(١) الرهق الاسم من الارهاق وهو حمل الانسان على ما لا يطيقهُ (٢) السغب هو الجوع مع التعب
(٣) اللغب هو التعب الشديد والاعياء المنهك (٤) الرنق هو كدر الماء (٥) الغدق هو الماء الكثير (٦) واحدها شؤبوب وهو الدفعة من المطر

نكباتٌ قوّضت جسمي ولم   تُبقِ من روحيَ غير الرمقِ
طال عيشي المرُّ في داجيةٍ   وانا ارقبُ وجه الفلقِ
هل لهذا الليل صبحٌ يُرتجى   فرَجٌ من ضوئهِ المنبثقِ
هل انا وحدي شقيٌّ يا ترى   في ربى الارض ام الكلُّ شقي
هل ارجّي في حياتي زمنًا   خالصًا من حذرٍ او قلقِ
ام بواقي العمر مثل المنقضي   ومواضيهِ هوادي المحقِ

⁂

اقبل الراعي عليهِ قائلاً   انما الايام مثل الحلَقِ
فاذا عشتَ قرونًا عدّةً   لستَ تلقى غير هذا النسَّقِ
راحت الدنيا على طلاّبها   وجدوها كالعقوق الابلقِ (١)
قبلك الكلُّ على سطح الثرى   طلبوا السعد بسعيٍ مخفقِ
دفعوا ناب البلايا عنهمُ   زمنًا دفعَ ضعيفٍ متقي
صرعتهم نوبٌ ارواحهم   معها مهما تُعمَّرْ تزهقِ
كل حيٍّ في الثرى مهما يطل   عمرهُ يأتِ لهذا المأزِقِ (٢)
ان تجاهد زمنًا سوف يجي   زمنٌ مهما تجاهد تغرَقِ

⁂

فاجاب الحملُ النادمُ يا   ليتني اخترت احتزاز العنقِ
ليت اني صرت نسيًا مغفلاً   ليتني متُّ بعامي الاسبقِ
فخذ السكين واذبحني ولا   تبقني رهن البلاء المحدقِ

دمشق الشام   فارس الخوري

---

(١) الابلق العقوق اي الذكر الحامل وهو عبارة عما يستحيل وجودهُ
(٢) المأزِق هو المضيق

عجائب الحرب

قيل ان رجلاً من اهالي اميركا طلب من رجل من هنودها ان يبارزهُ فكان اختيار السلاح من حق الهندي فاختار برميلاً من البارود يجلسان عليهِ كلاهما و يشعل باروده بهما. وهذا شأن المتحاربين في هذا الزمان فانهم كالجلوس على برميل من البارود يشعل ما فيهِ فينسفهم كلهم نسفاً

وكان المظنون ان دول الارض تفقه الى ذلك فلا تعود تتقاضي الي السيف والمدفع واللغم والطربيد بل تقيم بينها المحكمين المنصفين كما يفعل جمهور الناس عامتهم وخاصتهم بل كما يفعل عرب البادية ومتوحشو افريقية في غالب الاحيان . ولكن وراء هذه الجيوش المجيشة القائد والملك والصانع وصاحب الاموال وكلٌّ منهم يغنّي على ليلاهُ ولا يعبأُ بحياة سواهُ . الاول يسعى الى الامتياز على اقرانهِ وترفيع رتبتهِ ومقامهِ وتحلية صدرهِ بالنياشين والثاني يحاول اشغال قومهِ بالحروب والفتوح عن طلب الحكومة الدستورية والمشاركة في السيادة والثالث يصنع البنادق والمدافع واللغوم والطرابيد والبوارج والطرادات ولا تروج سوقها ولا تتوفَّر مكاسبها الاَّ اذا نشبت الحروب واقتضت استعمال الكثير منها . وصاحب الاموال يدين الدول في اوقات الضيق و يتقاضى منها الربا الفاحش و يعيش متنعماً بهِ هو واولادهُ من بعدهِ . كذا فعل بيت روشيلد وغيرهُ من البيوتات الكبيرة في اوربا واميركا وكذا تراكمت الديون الفاحشة على انكلترا وفرنسا وايطاليا وقام الوف من الاغنياء يتنعمون بجنى الملايين من الرعايا المساكين وجمهور الناس اغنام ترعاهم ذئاب

ويتعزَّى الكتَّاب احياناً كما نتعزَّي نحن بان قتلى الحروب الحديثة اقلُّ من قتلى الحروب القديمة . وهذا صحيح على اطلاقهِ ولكن لماذا لا تبطل الحروب مطلقاً وهي خالية من كل نفعٍ لنوع الانسان وليس فيها الاَّ الضرر والضيم والالم والشقاء ولا يستفيد منها الاَّ اناس يُعَدُّون على الاصابع يضرمون نارها و يذكون اوارها لمال يكسبونهُ او فخر ينالونهُ واكبر المخترعين يتنافسون في استنباط آلات الهلاك و يسخّرون لها اجمل ما اكتشفهُ عقل الانسان من حقائق العلوم الطبيعية والرياضية

من كان سنُّهُ بين الاربعين والخمسين من قراء هذه السطور يتذكر البندقية ذات الزناد تحشي من فمها بالبارود والرصاص . والمدفع المسبوك من الحديد او النحاس يحشي ببارود اسود يعمي دخانهُ الابصار وقنابل صغيرة مستديرة لا تُقذَف بالبارود الاَّ الى امد قريب . والبارجة

ذات الشراع تعبث بها الرياح وتخرقها القنابل فجاء العلم الطبيعي والرياضي وغيَّر كل ذلك . صارت البنادق تحشى من خزنتها برصاصات كثيرة دفعةً واحدة ويوضع معها بارود لا دخان لهُ او يركَّب في خزنتها آلة دوَّارة تلقمها الرصاص باسرع من لمح البصر فتطلق الف رصاصة في الدقيقة . والمدافع الرشاشة ينصبُّ منها الرصاص كالمطر الهطال . وصارت البوارج تدرَّع بدروع من الحديد الصلب يبلغ سمكها قدمين او اكثر. وتبارى صانعو الدروع وصانعو المدافع والقنابل واستخدم الفريقان العلم الطبيعي والرياضي اولئك يصلّبون الحديد ويقسونهُ حتى لا يخدشهُ المبرد ولا يخرقهُ شيءٌ وهؤُلاء يكبرون القنابل ويدققون رؤُوسها ويطوّلون المدافع ويثخّنون جوفها حتى تصير القنابل تقع على الغرض بقوة تزحزح الجبال وتخرقهُ ولو كان اشد المعادن صلابةً . فبلغت الدروع حد ما تحملهُ السفن من حيث ثقلها ولا تزال تزيد صلابة بتوالي الاكتشافات العلمية ولا تزال القنابل تزيد ثقلاً وقوةً بتكبير المدافع وتطويلها واتقان عمل البارود

وقد استنبط المستر هدصن مكسيم بارودًا جديدًا تحشى بهِ القنابل فلا تنفجر متى اصابت درع البارجة الكبيرة كما تنفجر القنابل عادة بل بعد ان تخرقهُ وتدخل البارجة ومتى انفجرت تمزقت الوفًا من القطع وانتشرت قطعها في السفينة كرصاص البنادق وقتلت كل من تصيبهُ فهي القضاءُ المبرم على البوارج لانها تخرق دروعها وتنفجر فيها انفجارًا

وقد استخدم رجال الحرب التلغراف الذي لهُ سلك والذي لا سلك لهُ ولم يعودوا ينصبون لهُ الاعمدة كما كانوا يفعلون قبلاً بل صاروا يلقون اسلاكهُ على الارض فتبقى اقسام الجيش متصلة بعضها ببعض مهما تفرقت وتباعدت فهو آذان القواد والجنود يسمعون بعضهم بعضاً بهِ مهما شسعت الابعاد بينهم

واستخدموا النور الكهربائي فهو عينهم يرون بها ابعد الاشباح في الليل الدامس كما يسمعون بالتلغراف اخفت الاصوات في البعد الشاسع . تلقي البارجة اشعة نورها الكهربائي حولها على اميال كثيرة وتفتش بهِ عن نسافات العدو فترى نسافة مسرعة اليها تقطع لجج البحر بسرعة دونها سرعة السوابق وبين يديها طربيد فيهِ الموت الزؤَام اذا وصلت اليها ورشقتها بهِ اوردتها حتفها في لحظة من الزمان . ومئات من الرجال وبدرات من الاموال وثمار العلم والصناعة تغوص في لجج اليم الى يوم يحشرون . لكن النور الكهربائي يكتشف النسافة قبل ان تدنو من غرضها وللحال تصوَّب اليها المدافع وترشقها بمئات من القنابل دفعةً واحدة والنور الكهربائي مشرق عليها حتى لا تختفي عن الانظار الاَّ حين تصيبها قنبلة وتدفنها في قلب البحار

وقد يقال كيف تصوَّب المدافع نحو الغرض في لحظة من الزمان وهي كبيرة ثقيلة كالجبال الرواسخ ثقل بعضها خمسون طنًّا او ستون والجواب ان الكهربائية ربة العجائب قد استُخدمت لتسديد المدافع فتديرها كيف شاء المدير باسرع من لمح البصر وهي التي تضع القنابل فيها وتطلقها منها بما لا مزيد عليهِ من السرعة والإحكام

وكان الطربيد يسير في الماء بقوة ما فيهِ من الهواء المضغط فتكون سرعتهُ نحو نصف ميل في الدقيقة ثم تقلُّ ويبطؤُ سيرهُ فيخشى ان السفينة التي اطلقتهُ تلحق بهِ في سيرها فينفجر تحتها ويغرقها. وقد استنبط المستر هدصن مكسيم مادة اطلق عليها اسم موتوريت يضعها في الطربيد بدل الهواء المنضغط فتكون سرعتهُ اشد مما لو سار بالهواء ويسير بها الى ابعد مما يسير بالهواء. واستنبط ايضاً قوارب طربيد تسير بهذه المادة فتكون سرعتها فائقة جدًّا وتغوص تحت الماء فاذا سُلّح القارب منها بالطرابيد لم تنجُ منهُ بارجة مهما كان حجمها ومهما كانت سرعتها

هذه بعض عجائب الحروب الحديثة وكلها او اكثرها يستخدم الآن في الحرب الناشبة بين الروس واليابان. ثمار العلوم ونتاج العقول يقيّد مئات الالوف باستخدامها ليقتل بها بعضهم بعضاً خدمة لنفر قليل من الملوك والقواد وارباب المال والاعمال

حياة الجماد

الباب الثالث

ترتيب الاجسام الحية وغير الحية وتركيبها الكيماوي

اول ما نسألهُ هنا ما هي صفات الجسم الحي الحقيقي التام. وما هي خواصهُ الاساسية. وهذه الصفات والخواص هي تركيب كيماوي معلوم وبناءٌ وشكل خصوصيان وارتقاءٌ لهُ مدة محدودة وآخرة هي الموت وقدرة الجسم على النموّ او الاغتذاء وعلى اخلاف النسل

وهنا سؤَالان آخران وهما اية خاصة من هذه الخواص هي الاهمُّ في حدّ الحياة وتعريفها. واذا فقد الجسم الحيّ بعضها أفيكفي ذلك لتحولهِ الى جسم غير حيٍّ. وللجواب عن ذلك نقول

ان كلّ ما نعرفهُ عن تركيب المادة الحية وترتيبها متضمَّن في قانوني الوحدة الكيماوية التي للاجسام الحية. الاول ان الحياة انما تظهر في المادة الحية (بروتوبلازم) وبواسطتها. والثاني ان الحياة تحفظ في بروتوبلازم لهُ اعضاءُ الخليَّة التامة. ولو كان هذان القانونان مطلقين وصحَّ

ان الحياة لا توجد الاَّ في البروتوبلازم و بواسطتهِ وفي الخلية و بواسطتها لحكمنا ان الحياة مقصورة على المملكة الآلية ولكن ألا يمكن ان تظهر آثار الحياة في احوال وشروط اخرى اي في مادة ليست بروتوبلازماً وفي جسم لهُ تركيب يختلف عن تركيب الخلية و بعبارة اخرى في كائن ليس حيواناً ولا نباتاً . وهذا ما نريد ان نثبتهُ بالامتحان

ظهر من تجارب كثيرين من العلماء انهُ لا بدَّ للحياة من وجود الجسم الخلوي ونواتهِ اي لا بدَّ من ان تكون الخلية تامة التركيب صحيحة لتكون حية . ولكن ظهر ايضاً من تلك التجارب انهُ اذا فقدت الخلية صحتها لم يعقب ذلك الموت حالاً بل ان بعض الوظائف الحيوية يبقى جارياً مجراهُ في بروتوبلازم فقد نواتهُ وفي خلية مختلة وغير تامة. ثم انهُ اذا طحنت الخلايا وسحقت توقف معظم وظائفها عن العمل ولكن ظهر بالتجارب التي عملت في بعض نبات الخمير ان البروتوبلازم لا يموت ولو طحن واختلَّت وظائفهُ الحيوية بل ان كثيرًا من خواصهِ يبقى ظاهرًا عليهِ

ومما لا ريب فيهِ ان بعض مظاهر الحياة يظهر خارج الخلية و بعيدًا عنها اي في اجسام غير آلية و يصاحب ظهورها فيها اعراض تشبه اعراض المادة الحية . وقد ثبت بالمشاهدة والامتحان ان وجه الشبه بين اعراض الفئتين تامٌّ فان بعض العلماء أبان ان الاعراض المرافقة للبلورات والجراثيم البلورية تشبه اعراض الحياة كل الشبه

الباب الرابع

ارتقاء المادة الحية وغير الحية وتغيرها

من اشهر خواص الجسم الحيّ ارتقاؤهُ وتغيرهُ المستمر . فانهُ يبدأُ ضعيفاً ثم ينمو ويرتقي ثم ينحط ويضمحل . ورب سائل يسأل هل هذا الارتقاء وهذا التغير خاصان بالجسم الحيّ ألا يطرأُ على الجسم غير الحيّ ما يشبههما . والجواب عن ذلك لا يحتمل اقل ريب . فقد قال بيشات — ولم يصب كبد الحقيقة في ما قال — ان الخواص الحيوية وقتية ومن مزيتها افناء نفسها على مرّ الزمن . بخلاف الخواص الطبيعية فانها ازلية ابدية . فالاجسام غير الحية لا بداءة لها ولا نهاية لازمة ولا زمان محدودًا ولا ارتقاء بل تبقى غير متغيرة كالموت الذي هي صورتهُ

وهذا القول غير صحيح في الاجرام السموية مثلاً . فقد زعم القدماء ان الاجرام السموية لا يطرأُ عليها تغير ولا فساد وبقي هذا الزعم متسلطاً على العقول حتى القرن السابع عشر حين

وجه الراصدون اول منظار اخترعهُ غليليو يرقبون بهِ وجه السماء فدهشوا لما رأَوا في الفلك من التغير على حين انهم كانوا يعتقدون انهُ ثابت لا يتغير . اما نحن فلا يدهشنا ما يطرأُ على الاجرام السموية من التغير آناً بعد آن فان مذهب لابلاس في اصل الافلاك بات معروفاً مشهوراً وما من احدٍ الاَّ و يعرف شيئاً عن تغير الاجرام السموية ودورانها المستمر . قال المسيو فاي ان الاجرام لم تكن موجودة منذ الازل بل كان لها زمان تكونت فيهِ ولا بدَّ ان تشيب وتهرم ثم ينطفئ سراجها اخيراً

وعليهِ فان الاجسام غير الحية ليست ابدية لا تتغير . فان الاجرام السموية قابلة للارتقاء وارتقاؤُها بطيء بالنسبة الى ما يشاهد على هذه الارض . ولكن اختلاف تلك النسبة المطابق لطول الزمان واتساع المكان ممَّا لا تعدُّ مقاييسنا شيئاً مذكوراً في جنبهما لا يغيّر وجه المشابهة الجوهرية بين الامرين

ولكن مالنا وللاجرام السموية البعيدة عنَّا في البحث عن حركة الاجسام غير الحية المشابهة لحركة الاجسام الحية . ولنسأَل علماء الفلسفة الطبيعية والكيمياء القريبين منا يجيبونا او لننظر الى ما حولنا تنكشف لنا الحقيقة باوجهها . اما علماء الجيولوجيا فان لدانتيك يذكر جيولوجياً قسم الجمادات الى قسمين سمَّى الاول منهما بالصخور الحية وهي الصخور التي يتغير تركيبها وترتقي مطاوعة لتأْثير الظواهر الجوية فيها . وسمّى الثاني بالصخور الميتة وهي التي بعد ما مرَّت بها ادوار التغيُّر كلها بلغت دوراً وقفت عندهُ واستراحت راحتها الاخيرة ومن هذا القبيل الطفال . وذهب غيرهُ الى أَبعد من ذلك فقال ان الصخور الحية تصاب بالمرض ويدركها الهرم ثم الموت . وبمثل هذا الكلام يتكلم باعة الجواهر هذه الايام عن بعض الجواهر الثمينة

اما اهل الكيمياء القديمة فقالوا في ذلك ما شاؤُوا وزعموا ان انواع المادة المختلفة عاشت وبلغت واستحالت من نوع الى آخر

هذا والمشهور ان كلَّ شيءٍ في الكون لا ينقطع عن العمل والحركة وان سكون الاشياء الطبيعية امر ظاهري فقط سببهُ عجزنا عن الشعور بحركتها الداخلية فاننا لا نرى الدقائق والذرات التي تتأَلف منها لشدة صغرها مع انها في حركة دائمة — تخطر ذهاباً واياباً ويحلُّ بعضها محل بعض وتتجمع في صور وامكنة ملائمة لاحوال الوسط المحيط بها وهذه الحركة حقيقية لا وهمية وهي تنتج تعباً تعقبهُ راحة كما في الاجسام الآلية . واول من ذكر تعب المعادن او تعب مرونتها اللورد كلفن ونسب غيرهُ الى الاجسام غير الحية اوصاف الاجسام

الحية مثل انحناء الزجاج مطاوعة للضغط ومقاومة الفولاذ للانسحاب مدافعة عن نفسهِ من الانقصاف وما اشبه ذلك. ومنهم من نسب اليها الذاكرة وآخرون نسبوا اليها الهستيريا في كلامهم على انفعالات الاجسام المعرضة للمغنطيسية او بعض القوى الميكانيكية. واعترف علماء الفلسفة الطبيعية الذين بحثوا في مرونة الاجسام كلهم ما عدا واحداً منهم ان تأثير قوة خارجية في جسمٍ ما يتوقف على القوى التي فعلت فيهِ قبلاً لا على القوة التي تفعل فيهِ الآن وحدها . حتى قال احدهم ان قطعة من سلك الحديد تتذكر ان كانت قد سُحبت او فتلت او طرأ عليها طارئٌ آخر الى مدة محدودة ثم تنسى ذلك

على ان أبسط الطرق للحكم في حركة المادة ان نشاهدها حيث دقائق المادة حرَّة تتحرك كيف شاءت . وذلك فيما اذا نظرنا بالمكرسكوب دقائق الغبار الطافية على وجه سائل من السوائل او نقط الزيت العائمة على وجه الماء . فاذا كانت تلك الدقائق او النقط صغيرة جداً ظهرت قلقة مضطربة لا تستقرُّ على حال ولا تنقطع عن الحركة البتة وهذه الحركة تسمَّى "حركة برون" نسبة الى العالم الانكليزي برون فانهُ كان اول من اكتشفها وذلك سنة ١٨٢٧

والذي يأخذ نقطة من ماء النهر او البحر وينظر اليها بالمكرسكوب يندهش من كثرة حركة الاحياء المكرسكوبية التي فيها ولكنهُ يرى دقائق اخرى دائمة الحركة والاضطراب وهي ليست اجساماً حية بل غبار معدني ودقائق اخرى غير آلية . ولالتباس حركتها بحركة الاحياء المكرسكوبية كثيراً ما اخطأها الباحثون فظنوها نوعاً من الحيوانات او البكتيريا على ان الخبيرين يسهل عليهم التمييز بينها وبين الاحياء الحقيقية فان حركتها اشبه بخطران الرقاص اي انها حركة لا ينتقل الجسم المتحرك بها من موضعهِ بخلاف حركة الاجسام الحية وكلما زاد حجمها بطؤَت حركتها او قلَّ حجمها أسرعت حركتها حتى يعسر تتبعها . وقد قال بعضهم ان تلك الحركة لا تتوقف على طبيعة الدقائق المتحركة ولا على شكلها ولا على طبيعة السائل الذي تعلق بهِ بل على قوامهِ او درجة لزوجتهِ فانها اسرع في الكحول والاثير مما هي عليهِ في الحامض الكبريتيك والجليسيرين مثلاً . ومن الادلة على ان تلك الحركة ليست حيوية وجودها في السوائل التي أُغليت وفي الحوامض وغيرها من السوائل القاتلة للاحياء . ومن اهم صفاتها دوامها وعدم انتهاء مدتها فان صخور الغرانيت تتضمن بلورات من الكوورتز وكانت كل بلورة من تلك البلورات تحتوي عند تكونها على نقطة ماء وفقاعة من الغاز ولا تزال تلك الفقاعة تتحرك حركتها الخاصة من العصر الناري الى الآن (اي منذ ملايين من السنين)

ولا يعلم سبب هذه الحركة . فقد قال بعضهم ان سببها اهتزاز الارض نفسها ولكن غيرهُ

اثبت وجود تلك الحركة حيث لم يظهر على مرآة الزئبق التي توضع في مقاييس الهزات والزلازل اقلُّ اضطراب يدلُّ على اهتزاز تحت الارض. ثم ان الحركة لم تزد عند اهتزاز الارض وظهور اثر الاهتزاز على المقاييس المذكورة ولم تتغير بتغير النور والمغنطيسية والمؤثرات الكهربائية وغيرها من الطوارئ الخارجية

اذا اخذنا قطعة من الكوورتز تتضمن غازًا ظهر لنا انها جامدة لا اثر للحركة فيها ولكن اذا نظرنا اليها بالمكرسكوب اتضح لنا ان جمودها وهميٌّ لا حقيقي . فاننا ننظر الى الجسم الذي امامنا كما ننظر الى جمهور غفير من الناس عن بعد — نرى مجموعهم ولكننا لا نرى كلًّا منهم بمفردهِ ولا نشعر بحركتهِ ولو كان ذلك المجموع متحركًا . فاذا نظرنا اليهم بالتلسكوب رأيناهم جمعًا مائجًا مضطربًا . وزد على ما تقدَّم ان دقائق الاجسام لا تقتصر على الحركة داخل الجسم الذي يتألف منها بل انها تنتقل من جسم الى آخر مطاوعة للمؤثرات الخارجية مثل الثقل والضغط والجذب والفتل والنور والكهربائية وما اشبه . فمن التجارب التي عملت للدلالة على انتقال دقائق المادة بالثقل والضغط انهم وضعوا قطعًا من الفلين في قعر اناء صغير من الخشب وقطعة من الشمع الاسود الذي يستعملهُ صناع الاحذية فوق الفلين وحصًى صغيرة فوق الكلِّ . وبعد مدَّة وجيزة انقلب ذلك الترتيب فهبطت الحصى الى الاسفل وارتفعت قطع الفلين الى الاعلى وقطعة الشمع بينهما

وجرَّب بعضهم التجربة الآتية وهي انهُ اتى باسطوانة صغيرة من الرصاص ووضعها على قرص من الذهب ووضع الاثنين في مكان درجة حرارتهِ مثل درجة غليان الماء فبقيا جامدين لان الذهب يذوب على درجة ١٢٠٠ س والرصاص على درجة ٣٣٠ س . وبقيا على تلك الحال شهرًا ونصفًا ثم فحص الرصاص فوجد ان دقائق الذهب بلغت راس اسطوانتهِ . وأبان آخر انهُ اذا وضع قرص من النحاس وقرص آخر من الزنك معًا وضغطا ضغطًا شديدًا التحما عند سطحيهما المتماسَّين وهذا ما لا يحدث اذا كانت دقائقهما لا تتداخل

فهذه الشواهد وغيرها تدلُّ على وجود حركة مستمرة بين دقائق الاجسام غير الحيَّة وان تلك الحركة ترس يقيها الطوارئ الخارجية حفظًا لها كما هي الحال في الاجسام الحية . وان الاجسام غير الحية قابلة للتغير والتأثر مثل الاجسام الحية بل قد تكون اشدَّ تأثرًا منها احيانًا فان الزئبق في الترمومتر يرتفع او يهبط لاقلّ تغير في حرارة الهواء مما لا يشعر بهِ جسم من الاجسام الحية

الباب الخامس

الاجسام الحية والبلورات

قلنا في كلامنا على خواص الاجسام الحية ان اهم تلك الخواص ثلاث الاولى ان لها شكلاً خصوصيًّا · والثانية انها قابلة للنموّ والتغذية · والثالثة انها قابلة للتوليد . ففي عالم الجماد نقصر كلامنا على الاجسام المتبلورة لانها هي وحدها ذات شكل خصوصي دون غيرها فنقول

ان للجماد ميلاً ظاهرًا الى اتخاذ اشكال بلورية اذا كانت القوى الطبيعية التي يخضع لها منتظمة في اعمالها غير عرضة للطوارئ الفجائية . وهكذا يقال في الاحياء فانها لا توجد الاَّ في وسط منتظم سالم من العوارض والغِيَر الطبيعية · والجسم الحيُّ يميل منذ ظهورهِ الى اتخاذ شكل خصوصي رغمًا عن العوارض والمصاعب التي يلقاها في طريق نموّهِ فيضمد جراحهُ ويصلح ما يطرأُ عليهِ من الفساد · وهذه الامور تعدُّ في عين الفيلسوف الطبيعي اهمَّ خواصِ الجسم الحيّ لانها ادلُّ الدلائل على وحدانيتهِ · وقد يتبادر الى الذهن انها خاصة حيوية محصورة في الاجسام الحية لا تتجاوزها الى غيرها ولكنها ليست كذلك لانها من خواصّ الاجسام المتبلورة ايضًا

ولبيان ذلك نذكر بعض الشيء عن تكوُّن البلورات واتخاذها اشكالاً خصوصية للمقابلة بينها وبين الاجسام الحية · ويراد بالشكل في النبات والحيوان وعلم البلورات تجمُّع دقائق الاجسام على نظام محدود او هو الترتيب بعينهِ . فجسم الانسان مثلاً بناءٌ يحتوي على ٦٠ مليون مليون مليون خلية تجد كلٌّ منها مكانها معدًّا لها · ويراد بالشكل ايضًا في علم البلورات الترتيب الذي تظهر البلورات فيهِ · وربما كان تجمُّع عناصر البلورات ابسط من تجمع دقائق الاجسام الحية ولكن البلورات ليست اقلّ ترتيبًا وانتظامًا من الاجسام الحية

اما اوجه الشبه بين الاجسام الحية والبلورات فمنها ان الشكل البلوري يعيّن نوع الجماد كما ان الشكل التشريحي يعيّن الحيوان والنبات · ومنها ان تشابه اشكال الحيوانات والنباتات تدلُّ على تشابه اصلها ونوعها وهكذا يقال في البلورات فان تشابه اشكالها يدلُّ على ما بينها من صلة القربى · ومنها ان انواع الجماد المتشابهة في تبلورها وتركيبها الكيماوي يمكن ان يحلَّ بعضها محل بعض في البلورة الواحدة عند تكوُّنها فتمتزج معًا وامتزاجها هذا يقابل تزاوج الاحياء التي من نوع واحد · ومن اهمِّ اوجه الشبه بين الاحياء والبلورات دفاعها عن نفسها واصلاح ما يطرأُ عليها من الفساد · فمن المشهور ان الجسم الحيّ يرئم جراحهُ ويستردُّ ما فقدهُ ويجدّد الاجزاء التي تزال منهُ · وهكذا تفعل البلورة · فقد أبان بعض الباحثين ان البلورات تتكوّن

من نواة اصلية كما يتكون الحيوان من الجنين وان الاجزاء التي تتكوَّن منها تتجمع طبقاً لقواعد هندسية وعلى مثال ما يجري في البيضة التي يتركَّب منها جسم الحيوان . على انهُ قد يطرأُ على البلورة طارئ في خلال تكوُّنها فتتشوَّه ولكنها تصلح ذلك كما شاهد باستور . فقد قال انهُ اذا كسر قسم من بلورة ثم أُعيدت الى السائل الذي تكونت منهُ اخذ حجمها يكبر من كل جانب وخصوصاً من الجانب المكسور ولا تمضي ساعات قليلة حتى يتمَّ جبر الكسر وانتظامهُ على مثل ما كان عليهِ قبلاً

الباب السادس

تغذية الجسم الحي والبلورة

قالوا وأَصابوا ان خاصة التغذية اهم خواص الاحياء ولكن في البلورات عملاً يشبه عمل التغذية . فان البلورة تنمو من نواة اصلية كما قلنا سابقاً تقابلها الجرثومة في النبات والجنين في الحيوان . واذا وضعت تلك النواة في سائل من نوعها نمت بتمثيل مادة السائل وهي محافظة على شكلها وقد تبلغ حجماً كبيرًا اذا عرفنا كيف نغذيها . وكثيرًا ما يحدث ان جزءًا جديدًا من البلورة يصير نواةً تمتص من السائل الذي حولها فيتأَلف منها بلورة جديدة ملاصقة للأُولى واذا رفعت من السائل توقفت عن النمو مثل بزور النبات حتى اذا أُعيدت اليهِ عادت تنمو وتكبر . ونموها يتوقف على حرارة السائل الذي هي فيهِ فاذا برد نمت واذا أُحمي ذابت . وهذا يشبه ما يجري في الاحياء من بعض الوجوه

وقد يتبادر الى الوهم ان بين الجسم الحي والبلورة تناقضاً تامًّا في كيفية التغذية والنمو فان الجسم الحي يتغذّى بالمداخلة(١) والبلورة بالملامسة . وذلك لان البلورة مؤلفة من سطوح لا تتخللها المواد المغذية وعليهِ يتم عمل التغذية فيها بالملامسة الخارجية ويزيد حجمها بالاضافة اليها من الخارج . اما الجسم الحي فعلى ضد ذلك فان المواد المغذية تتخللهُ بسهولة لانهُ مؤلف من خلايا ذات صور واشكال مستديرة مرنة فالسوائل والغازات التي تصيبهُ من الخارج تستطيع دخولهُ بلا استئذان فيتم عمل التمثيل في جميع اجزائهِ ويزيد حجمهُ بزيادة كل حجر في بنيانهِ

على ان هذا التناقض الظاهر يقل اذا قابلنا ما بين الجماد البسيط في تركيبهِ والجسم الحي المركَّب . ثم ان المداخلة والملامسة ليستا سوى واسطتين ميكانيكيتين يلجأُ الجسم الحي اليهما

---

(١) هي ما تسمى بالانكليزية Intussusception ويراد بها اغتذاء الجسم الآلي بالمواد غير الآلية بادخالها فيهِ كما يراد بها ما اطلق عليهِ علماءُ الطب اسم اندغام الامعاء اي دخول بعضها في بعض

على السواء طبقاً لحاجتهِ بلا تمييز بينهما · فان عظام الجسم تتغذى وتنمو بالاضافة اليها من الخارج وكذلك اصداف الحيوانات ذوات الاصداف وفلوس الزحافات والاسماك كما هي الحال عليهِ في البلورات · فالمداخلة والملامسة اذا واسطتان ميكانيكيتان لهما علاقة بالصفات الطبيعية التي للاجسام الحية والبلورات وهي الجمود في البلورات والخثور في البروتوبلازم · واذا قابلنا السائل غير الآلي بالمادة الخاثرة الآلية رأينا ان ما يضاف الى كليهما يتمُّ امتزاجهُ بالمداخلة · مثال ذلك اننا اذا اضفنا نوعاً من الاملاح التي تذوب الى سائل ما تداخلت دقائق الملح في دقائق ذلك السائل · وعليهِ فليس في المداخلة امر جوهريٌّ خفيت حقيقتهُ على الافهام

الباب السابع

تولُّد الحي والجماد · التولُّد الذاتي

الحيُّ انما يتولَّد من الحيّ · والبروتوبلازم الذي فيهِ انما هو جزءٌ من بروتوبلازم سابق لهُ والعناصر التي يتركب منها متسلسلة عن عناصر حيٍّ قبلهُ خلفاً عن سلف . ومثل هذا يقال في بعض البلورات فانها تتولد من بلورات سابقة وعليهِ يمكن ان تعدَّ بمثابة نسل لها

هذا وان النموَّ في الحيّ ناموس الحيوية الاساسي والتوليد النتيجة اللازمة عن النمو · والخلايا الحية لا بدَّ ان تزيد وتتضاعف · ففي الاحياء البسيطة يتمُّ التناسل بالانقسام او التجزوء · وفي الاحياء المركبة يتم باعضاءٍ خصوصية · وربما ظهر ان ذلك مقصور على الحيّ دون الجماد وان التناسل او التوليد خاصة من خواص الحيّ يمتاز بها على الجماد · ولكن ذلك ليس كذلك كما يظهر مما يأتي

اذا اراد المشتغل بتربية المكروبات ان يربي نوعاً منها وضع بعضها في سائل التربية فنمت واثرت · واذا اراد تربية نوع من المكروبات التي توجد عادة في الهواء لم يضطرَّ ان يضع شيئاً منها في السائل بل اذا ترك انبوبة السائل مفتوحة وقعت المكروبات عليهِ وتولدت فيهِ وتكاثرت وتولدها هذا يشبه ان يكون ذاتياً · وقد ابان بعض العلماء الطبيعيين ان بعض السوائل مثل محلول كبريتات الصودا وكبريتيات المغنيسيا وكلورات الصودا تصلح لتربية بعض انواع البلورات · فالشبه بين الامرين ظاهر الاَّ ان هناك فرقاً مهمًّا وهو ان البلورات تتولد بسرعة عظيمة بخلاف المكروبات فانها تتولد ببطءٍ

ومن اوجه الشبه بين الاثنين انهُ يمكن تلقيح سائل بالبلورات كما يمكن تلقيح سائل آخر بالمكروبات وان البلورات شديدة الصغر في حجمها مثل المكروبات · وقد قسمت السوائل التي

تذاب فيها الاجسام القابلة للذوبان الى قسمين قسم يبقى سائلاً لا يتبلور الاَّ اذا لُقح بالبلورات وقسم يتبلور من ذاتهِ بلا ادخال شيءٍ اليهِ وهذا ما يسمى بالتبلور الذاتي وهو يشبه ما يسمى بالتولد الذاتي في الاحياء . خذ مثالاً لك الغليسرين فاننا لا نعلم ما هي الاحوال والشروط التي يتبلور فيها لاننا اذا برَّدناهُ لم يتبلور بل تحوَّل الى سائل كثيف على ما هو معلوم . وكلُّ ما نعلمهُ عنهُ انهُ يتبلور ولكن تحت شروط واحوال نجهلها . ولم تكن بلورات الغليسرين معروفة قبل سنة ١٨٦٧ بل عرفت فجأَة تلك السنة وقد ظهر بالتجربة انها تذوب على درجة ١٨ من ميزان سنتغراد فاذا لم تتخذ التدابير اللازمة لبقاء البلورات الموجودة منها الآن على تلك الحرارة ذابت كلها وانقرضت عن وجه الارض

فيظهر مما تقدم ان الجماد يشابه الحيَّ مشابهة كثيرة في ظهورهِ وانتشارهِ وانقراضهِ . وهذه الامور تفضي الى نتيجة واحدة . فقد كانت البلورات قبل اجتماع الشروط والاحوال الملائمة لتولدها الذاتي تتولد من بلورات اخرى ليس الاَّ كما ان المغنطيس كان يعمل قبل اكتشاف المغنطيسية الكهربائية بامرار المغنطيس على قطع الفولاذ . وعلى هذا المنوال كان القدماءُ يزعمون ان كلَّ نار جديدة كانت تضرم من شرارة قبست من نار موجودة قبلاً . وما قالهُ القدماءُ في النار نقولهُ نحن الآن في الاحياء الارضية وهو انهُ ما من حيّ الاَّ وقد اشتقَّ من حيّ آخر موجود قبلهُ . ولا يبعد ان نرى الحي يتولد من غير الحي كما تتولد النار من غير النار

فلسفة الحرب الحاضرة

ونبذة من تاريخ اليابان

نشرت المجلة العمومية الفرنسوية فصلاً عظيم الفائدة عن الحرب الحاضرة فاخترت تعريبهُ لانهُ يشتمل على الاسباب التي حملت اليابان على امتشاق الحسام ومنازلة الروس في حرب عوان لا يعلم الاَّ الله متى يكون منتهاها قالت

يخطئُ من يظن ان اليابان انما شهرت الحرب على روسيا لمجرد امتلاك كوريا فان السبب الاعظم في اقدامها على هذه الحرب هو ان تقدمها السريع في جميع فروع المدنية اضطرها ان تطلب خارج الجزر اليابانية الضيقة مكاناً فسيحاً يسعها وهي تبني بناءَ تمدّنها وعمرانها لان

الشعب الياباني الذي اخذ يرتقي منذ ثلاثين سنة رأى نفسهُ محصورًا في بلادهِ وعليهِ يصحُّ القول ان تقدم اليابان السريع اولد تلك الحرب

هذا ولم يسبق في تاريخ البشر ان امة خرجت في ثلاثين سنة من حضيض الجهل والفتن ونفضت عنها غبار الذل والمسكنة واقتدت باوربا فنظمت بلادها تنظيماً يضارع تنظيم اعظم البلاد المتمدنة حتى فاقت البعض منها بمراحل. بل لم ننظر في اي تواريخ من التواريخ ان امة نظمت جنديتها تنظيماً بديعاً وانشأَت لنفسها عمارة بحرية ضخمة وفتحت المدارس في بلادها على اختلاف طبقاتها ونزعاتها و بلغت ما بلغتهُ اليابان في تلك المدة القصيرة حتى استطاعت الآن ان تقف في وجه اعظم دول الارض جاهاً وعزة وضخامة

في ثلاثين سنة انتقلت بلاد اليابان من استبداد القرون الوسطى التي كانت اوربا غارقة في لججهِ الى ارقى تمدن حديث اي ان فلاحاً يابانياً عمرهُ الآن ستون سنة راى مالم يرهُ آباؤُنا اي انهُ قضى شبابهُ كخادم حقير عاش في ايام شارلمان وشاخ بين الافكار والعادات الحديثة. ان هذا لشيءٌ عجاب

فان الجزر اليابانية كانت من مدة سبع وثلاثين سنة قائمة في وجه الشعوب الاوربية كارضٍ مضى عليها عشرون قرناً وهم لا يعلمون من امرها شيئاً وكانت احوالها الداخلية تشبه احوال اوربا في زمن استبداد الامراء لان سلطة الامراء كانت في اليابان عظيمة وكان الاجانب يستوطنون بعض الثغور البحرية و يعيشون بمعزل عن البلاد الداخلية لان تكرر المذابح والثورات علمهم ان عاقبة التوغل في داخلية البلاد وخيمة حتى انهُ كان يهون على الانسان ان يسكن الصين ولا يسكن اليابان

فلم نسمع الاَّ وثورة عظيمة قلبت نظام البلاد رأساً على عقب وغيرتهُ تغييرًا كلياً ذلك لان بعض اليابانيين وجدوا لداء بلادهم المستعصي دواءً شافياً فقلبوا نظامها المختل وابدلوهُ بنظام جديد يشبه نظامات الغرب الحديثة فجاراهم امبراطورهم الحالي "موتسوهيتو" وغيَّر وبدَّل ونبذ تقاليد البلاد القديمة واقتبس من مدنية الغرب ما تمكَّن بهِ من انشاء مملكة عظيمة. منذ ذلك الحين سقطت اليابان القديمة وسقط معها نفوذ امرائها وهم في سبات وغفلة لا يعلمون معنى لهذا التغيير الفجائي. فاعلنت اذ ذاك مساواة اليابانيين جميعهم امام القانون واعلنت معها الحرية الشخصية وصار الامبراطور يحكم بمشورة برلمان او مجلس نواب ينتخب من افراد الامة وفتحت الثغور البحرية كلها في وجوه الاجانب وانتقلت عاصمة المملكة الى توكيو رسمياً. ذلك كلهُ جرى في بضعة اشهر ليس الاَّ

فاهتمَّ اليابانيون بعد الثورة باصلاح البلاد لان الحكومة الحديثة تستلزم بلاداً احدث منها والحق يقال ان التفنن الغريب الذي اظهرهُ اليابانيون في هذا المجال يحير عقول ذوي الالباب ويقضي بالعجب العجاب . فضربت النقود وتأسست البنوكة وانتشر التعليم الصناعي ومد التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والزراعية وانشئت المدارس والمجلات العلمية ونظمت البلاد وصار لها بوليس هو الآن في غاية من المهارة بل يضارع بوليس فرنسا والمانيا في الحذق والاستنباط

مدَّت السكك الحديدية اولاً بين طوكيو ويوكوهاما وذلك سنة ١٨٧٠ فربط بها اعظم ثغر لليابان بعاصمتها وبلغ طول الخط جميعهِ ٢٨ كيلو متراً . وفي سنة ١٨٨٠ كان طول سكك الحديد اليابانية ١١٧ كيلو متراً فبلغ ٣٠١٠ كيلو مترات سنة ١٨٩٠ و ٦٠٨٠ كيلو متراً سنة ١٩٠٣ وهذه الزيادة عظيمة مدهشة . وكان في البلاد سنة ١٨٦٨ خط واحد للتلغراف بين طوكيو ويوكوهاما وفي سنة ١٨٩٣ بلغ طول اسلاك التلغراف ١٣٥٧٦ كيلو متراً وفي سنة ١٩٠٣ بلغ عشرين الفاً وهذا التقدم سريع عظيم . ولم يكن للبوسطة الرسمية اثر في اليابان منذ ثلاثين سنة اما الآن ففيها الوف من المكاتب على غاية من الضبط والنظام

وعلى قدر ما كانت اليابان تتقدم في المدنية والاصلاح كانت لا تألو جهداً في تنظيم جنديتها وبحريتها والاقتداء بالدول الاوربية وخصوصاً فرنسا والمانيا مطمح انظارها ومقصد افكارها . فانشأت جيشاً عاملاً مؤلفاً من مئتي الف جندي ورديفاً يبلغ مئة الف جندي والغرض منهُ مساعدة الجيش العامل في الحرب . ومئة الف جندي من الجيش الاحتياطي يجمعون عند مسيس الحاجة . وفيها غير الجيوش المتقدمة ٤٦ اورطة من الطوبجية وتسعون الف جواد عدا المستشفيات والخدم والنقالين والحمالين . اما من جهة البحر فان التغيير عظيم ايضاً لان اليابان اشترت من اوربا ٧ بوارج حربية من الطبقة الاولى و ٧ مدمرات مصفحة على احسن طرز وابدع مثال و ١٧ بارجة حربية و ٣٠ نسافة هذا عدا كل ما زاد من البوارج والدوارع بعدئذٍ وهو كثير فدخلت اليابان بذلك في مصاف الدول البحرية العظمى

واغرب من هذا وذاك دقة الياباني في العمل ومهارتهُ في الاختراع والاستنباط بحيث لايمكن الاوربي ان يفوق عليهِ كثيراً . فالصناعة التي كان لايذكر لها اسم عندهم نمت وتقوت وعظمت الى حدّ ان معملاً واحداً في طوكيو باع من الحرير في سنة واحدة ما بلغ ٢٥ مليون فرنك ولما كانت اليابان مجموع جزائر كان عليها ان تزيد عدد بواخرها تسهيلاً للتجارة ففي سنة ١٨٩٠ كان عندها ٨٥٥ سفينة شراعية و ٥٨٠ باخرة فصار عندها في سنة ١٩٠١

اربعة آلاف سفينة شراعية و ١٤٠٠ باخرة فيالعظمة ذلك النمو في هذه المدة القصيرة

اما نتيجة هذه النهضة فكانت هكذا : ان اليابان انتصرت على الصين وكوريا في حرب منظمة واتحدت مع اعظم دولة بحرية في الغرب وزادت تجارتها الخارجية زيادة خارقة للعادة ففي ١٨٩٠ قدرت تجارة اليابان الخارجية بمبلغ ٣٥٠ مليون فرنك فبلغت عام ١٩٠٢ مليارًا و ٣٥٠ مليونًا اما اشغالها الداخلية فعظيمة ايضاً ويكفي شاهداً لذلك ان نقول ان بنكاً واحداً من بنوكة يوكوهاما دفع الى احد عملائهِ تحويلاً بالتلغراف بمبلغ ٧ ملايين ونصف مليون فرنك

ولكن هل تقدمت تلك البلاد هذا التقدم الباهر في جميع فروع المدنية دون ان يكلفها ذلك شيئًا · كلا فمن جهة زادت نفقات الجند زيادة عظيمة وتضاعف دينها وازدادت الضرائب وحب الاستخدام في دوائر الحكومة الى غير ذلك مما هو مشاهد في حكومات الغرب الكبيرة · ولكن هناك خطرًا عظيمًا يكبر يومًا فيومًا ويهدد حياة تلك الدولة الشابة الممتلئة دمًا وقوة وشعورًا ذلك ان مساحة الجزر اليابانية كلها تكاد تبلغ ٣٨٢ الف كيلومتر والذي يمكن زرعهُ منها ٥٠ الفًا فقط فاذا كان ازدياد السكان سنويًا يقدر بخمسمائة الف نسمة تعذر على تلك الجزر ان تقوم بمعيشة شعب يبلغ عددهُ ستون مليونًا بعد عشرين سنة فاصبح من المقرر الواجب على اليابانيين ان يهاجروا من بلادهم لطلب الرزق في بلاد اخرى حيث يستطيعون توسيع دائرة اشغالهم واعمالهم بفتح السبل في وجه تجارتهم وصناعتهم . فاذا سلمنا بوجوب المهاجرة فالى اي بلاد يهاجر اليابانيون

والجواب ان الياباني يطلب الشرق الاقصى برمتهِ من سنقافورة الى فلادفستوك والهند الصينية ضمن هذه الدائرة الواسعة · وربّ قائل يقول ان تحقيق الاحلام اهون من تحقيق آمال اليابانيين فنقول ان اليابان كبرت الى حدّ صارت معهُ المهاجرة محتمة عليها لان المواليد تزيد سنة بعد سنة زيادة عظيمة تضطر الياباني الى تحصيل رزقهِ في غير جزرهِ الضيقة واذا علمنا انهُ يدين بدين الامم التي يحاول المهاجرة اليها ويتكلم بلغات تلك البلاد التي يريد الانضمام اليها سهل عليهِ هذا الاستعمار وهذا التوسع خصوصاً بعد ان ملكت اليابان زمام التجارة والصناعة في جميع الشرق الاقصى وضربت مصالح اوربا جمعاء بحروب مدنية لا تلبث ان تعود عليها بالفوائد خصوصاً بعد ان رأينا منها هذه العظمة وهذا التقدم في كل فن من الفنون

بيد انها لم تخط خطوة في هذا السبيل الاَّ رأت امامها ان الجنس الابيض يناشبها حربًا عوانًا ويدافع عن مصالحهِ مدافعة اليائس لان اوربا واميركا تبيعان معًا للشرق الاقصى كل

سنة باحد عشر مليارًا من الفرنكات فخافتا ان تحل اليابان محلها في تلك الاسواق العظيمة بعد ان صارت الآن في غنى عن محصولاتهما لانها تكفي نفسها بنفسها وتزيد وتزاحم بضائع غيرها لرخص هذه البضائع عندها وهذا ناشئ من رخص اجور العمال في مصانعها . فتعذر اذ ذاك على اوربا واميركا منازلتها في حروب تجارية مثل هذه حتى اوشكت تجارتهما ان تبور في تلك الاصقاع

وظلَّت الحال على هذا المنوال منذ سبع سنوات واوربا تحسب لليابان حسابًا عظيماً لحرمتها الانتفاع بنصرتها التي احرزتها على الصين وردتها داخل بلادها من غير ان تنال شبر ارضٍ من عدوتها وخصيمتها فسكتت اليابان لهذا الفشل وكالت لاوربا من جهة اخرى الصاع صاعين فطردت وكلاء المحلات الاوربية التجارية الذين عندها بان زادت الضرائب على بضائعهم فلما وجدوا ان لا باب لهم للربح بهذه الطريقة غادروا البلاد . وعجلت في اصلاح جيشها وتكبيرهِ واعداد بحريتها وجابت بحار الشرق الاقصى كلها طلباً للاتجار فهددت تجارة اوربا وزادت مهاجرة ابنائها لجميع السواحل الصينية والكورية خصوصاً

بمثل هذا ظنت اليابان انها انتقمت من اوربا انتقاماً هائلاً . ولكن " ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ " فان سكة حديد سيبيريا التي لم يحلم اليابانيون بها قط اظهرت لهم ان اوربا قريبة منهم تهددهم تهديداً عظيماً لاسيما اذا تمكنت من ابتلاع منشوريا وكوريا والاشراف على البحر . منذ هذا الوقت تقررت الحرب واصبحت امرًا واجباً لا بدَّ منهُ لان آمال اليابان واشغالها المتواصلة باتت مرتبكة وبلادها على شفا جرف هارٍ

اما الآن فلا يفكرن احد في ان الحرب الحاضرة هي بين روسيا واليابان فقط وان كوريا هي سببها . كلاَّ فهي حرب بين جنسين الجنس الابيض والجنس الاصفر لاحتكار اسواق الشرق الاقصى والتوسع في المهاجرة والاستعمار فان فازت روسيا على اليابان فانما هي تشتغل لمصلحتها اولاً ولمصلحة اوربا ثانياً . وان فازت اليابان عليها كان لها من وراء ذلك فوائد جمة تجعلها بعد زمن في غنى عظيم وعزٍ مقيم

طنطا جوزيف دهان

خطبة الوزير بلفور

(رأس الوزير بلفور مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم في اواسط اغسطس في مدرسة كمبردج الجامعة وخطب فيهِ خطبة انيقة جعل موضوعها "تأملات مبنية على الرأي الجديد في المادة" وهو الرأي الذي بسطناهُ منذ بضعة اشهر ومفادهُ ان جواهر المادة التي كان يقال انها جواهر فردة او اجزاء لا تتجزأ مؤلفة من دقائق كهربائية صغيرة جدًّا فالكهربائية اصل المادة او الهيولى . وها تعريب الخطبة)

ان هذا المجمع يلتئم غالبًا في المدن المزدحمة بالسكان حيث نتذكر شدة ارتباط العلم الحديث بالصناعة الحديثة اذا جاز لنا ان ننسى ذلك اي ارتباط المباحث المجرَّدة التي يشتغل بها رجال العلم باعمال المخترعين والصناع . وهذا امر لا بدَّ منهُ لانهُ لا يمكن نفي الارتباط التام بين العلم والعمل ما لم يُضرَّ الاثنان معًا ومن يستخفُّ بما يستفيدهُ كلٌّ منهما من الآخر فليس هو بالصديق الحميم لهذا ولا لذاك

ولكن قد أُنشئ هذا المجمع لترقية العلوم فيحسن ان يُختار لالتئامهِ من وقت آخر مكانٌ تتجه العناية فيهِ الى المباحث العلمية المجرَّدة اكثر مما تتجه الى تطبيقها على العمل . وان كان الامر كذلك فلا مكان اصلح لهُ من دور هذه المدرسة القديمة الجليلة لانهُ ان كان للمكتشفات الطبيعية مقرٌّ فمقرها هنا وان كان للذين يعتقدون ان العلم الطبيعي هو علم العلوم واصلها دارٌ ترحّب بهم فهنا تلك الدار. وان لم اكن مخطئًا بتغرضي للمدرسة التي ربيتُ فيها فليس في المعمور بقعة مثل هذه اتصل بها بالدرس او بالتدريس عدد عديد من المشاهير الذين اكتشفوا الحقائق الطبيعية المفيدة . لا اقول شيئًا عن باكون نبيّ العصر الجديد ولا عن دارون كوبرنكس علم الحياة لان بحثي ليس في ما اضافتهُ هذه المدرسة الى العلوم بنوع عام بل في ما اضافهُ العلماء الطبيعيون الذين تعلموا او علَّموا على رمية سهم من هذا المكان — من نيوتن في القرن السابع عشر الى كڤنديش في الثامن عشر وينغ وستوكس ومكسول في التاسع عشر وكلفن الذي يستحق عصرهُ ان يسمى بهِ الى رايلي ولارمور وطمسن وجمهور العلماء الذين معمل كڤنديش مركز حلقتهم وآراؤهم العلمية تجعل اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن مثل اشهر القرون السالفة

وما هو البحث الذي عكف عليهِ هؤلاء الافاضل ورصفاؤهم من كل البلدان والى اي غاية كانت ترمي مباحثهم الطبيعية التي اشرتُ اليها . فقد طالما قيل ان غرضهم كشف

النواميس التي تربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض. ولكن هذا القول لا يُعرِب عن الحقيقة ولا هو وافٍ بالمراد فاولاً لا يصحُّ ان يطلق اسم الظواهر على الامور التي لا تظهر لمخلوقات مشاعرهم ضعيفة مثل مشاعرنا ولم تظهر قط ولن تظهر ابداً. وهذا الخطأُ لغوي راسخ يتعذَّر اصلاحهُ فاذا غضضنا الطرف عنهُ وجدنا خطأً آخر وهو ان اكتشاف النواميس الطبيعية هو كل ما يُطلَب من البحث في الطبيعة. فان العالِم الطبيعي يطلب شيئاً آخر وراءَ ما يحدث مع الظواهر ويتلوهُ من النتائج. يطلب شيئاً وراءَ النواميس التي تربط الحوادث الطبيعية وغرضهُ معرفة مالهُ وجود طبيعي حقيقي اي معرفة الحقيقة الطبيعية وهذه الحقيقة قد يمكن ان تُدْرَك وقد يمكن ان لا تُدرَك ولكنها مستقلة عن الادراك وبها يقوم نظام العالم المادي الذي اتصالنا بهِ طفيف جداً ولا يعتمد عليهِ. اما انهُ يوجد شيءٌ لهُ وجود حقيقي فامر يعتقدهُ العلماء ولو انكرهُ الفلاسفة واذا فرضنا المحال وقلنا ان الانتقاد ينفي هذا الاعتقاد فالعلم كما يفهمهُ العلماء يزول ايضاً ولا يبقى لهُ وجود

وان كان الامر كذلك وان كان من اغراض العلم ولاسيما العلم الطبيعي ادراك العالَم الطبيعي في حقيقتهِ اي ادراك الحقيقة التي لها وجود حقيقي فيهِ فالمقابلة بين الصور العقلية المختلفة التي صُوِّرت بها هذه الحقيقة في العصور المختلفة ينبّه الذهن الى مسائل على غاية الاهمية. نعم انهُ لا يحقُّ لي ان ابحث في ما كان من هذه المسائل فلسفياً محضاً لان المجمع ليس فلسفياً ولا يحقُّ لي ايضاً ان ابحث في ما كان منها علمياً محضاً لاني لست كفوءًا لذلك ولكن من هذه المسائل ما يقع بين بين ويحمل العالِم الطبيعي والفيلسوف المنقطع للفلسفة على التساهل لمن يعتدي على حرميهما مثلي كما سافعل في الدقائق التالية

ومرادي الآن ان اقابل بين صورتين من هذه الصور الاولى منهما تمثّل الآراء التي كانت متغلّبة في اواخر القرن الثامن عشر بعد ظهور كتاب المبادىء الذي وضعهُ نيوتن باكثر من مئة سنة وذاك الوقت متوسط بين ظهور ذلك الكتاب وبين عصرنا الحاضر. واظن انهُ لو سئل جمهور العلماء حينئذٍ ان يصفوا العالم الطبيعي كما يبدو لهم وكما يعتقدونهُ لقالوا على الراجح انهُ مؤَلف من عناصر مختلفة ذات ثقل لها تراكيب كثيرة منتشرة في الفضاء تظهر على صور مختلفة بفعل الالفة الكيماوية والحرارة. ومهما اختلفت صورها فهي خاضعة لنواميس الحركة ومادتها لا تتغيَّر وهي تجذب وتنجذب من كل الجهات حسب ناموس الجاذبية العام مهما كانت الابعاد وقد يضيفون الى هذه المادة ذات الثقل شيئاً لا ثقل لهُ وهو الحرارة وكانت تحسب حينئذٍ بين العناصر ويضيفون ايضاً سائلين هما السائلان الكهربائيان والذرات التي يتألف النور منها

وكان العلماء يتصورون ان الافعال تنتقل من مكان الى آخر من غير موصل ولم يكن احد يحلم حينئذٍ بما يقال لهُ حفظ القوَّة وقد بحثوا في الكهربائية والمغنطيسية بحثًا مهمًّا ولكنهم لم يعلقوا عليهما شأنًا كبيرًا ولا اضطرُّوا الى فرض وجود الاثير لتكميل نظام الكون

ولكن حدث في ذلك الحين ما كان سببًا لتغيير عظيم في آراء الناس فان ينغ فتح باب المناظرة التي ادَّت اخيرًا الى اثبات مذهب امواج النور والى الاعتقاد بوجود مادَّة بين الكواكب لايصال هذه الامواج · ولا يقتصر ذلك على اثبات مذهب صحيح ونقض مذهب فاسد بل يتناول امرًا آخر وهو ادخال عنصر جديد شامل في صورة العالم على ما كان يتصورها العلماء حينئذ . وهذا العنصر الجديد غيَّر كل الآراء القديمة ولا يزال يغيرها · فان نظام الكون حسب مذهب لابلاس يكفيهِ ان يكون الفضاء واسعًا الى غير نهاية والشموس واقمارها منتشرة فيهِ على ابعاد شاسعة بعضها تام التكوين وبعضها لا يزال آخذًا في التكوُّن ولكن اذا كان الفضاء غير المتناهي مملوءًا بمادة متصلة الاجزاء فالحال تختلف تمام الاختلاف ولا بدَّ من ان يستدل منهُ على امور اخرى لانهُ لايمكن ان يظن ان هذا الاثير ان كان موجودًا حقيقة فهو انما وجد لكي يوصل الى عين الانسان الامواج التي اتفق انها تؤثر في عصب البصر · فقد فرض وجودهُ لهذه الغاية ولكن يستحيل ان يكون وجودهُ مقصورًا عليها ولذلك فالاشياء التي تمتاز بعضها عن بعض من حيث الشعور بها كالنور والحرارة والاشياء التي لاتؤثر في المشاعر مثل الامواج الكهربائية في التلغراف الذي لا سلك لهُ تختلف اختلافًا جوهريًا في الكم لا في الكيف كما هو معلوم الآن

وهذا ليس الكل ولا يداني الكل فاننا اذا فتنا القرن الذي يفصل سنة ١٨٠٤ عن سنة ١٩٠٤ وحاولنا رسم صورة العالم كما يتصورها بعض قادة الافكار الآن نجد انها تغيرت عما كانت عليهِ ولم يقتصر تغيرها على الاكتشافات الواسعة النطاق كالرأي الجوهري وتألف المادة من الدقائق وحركة دقائق الغازات ونواميس حفظ القوة وتوزعها بل تناول ما هو اهم من ذلك كثيرًا تناول المقام الذي عرف للكهربائية والاثير في كل ما يدل على الحقائق الطبيعية التي يمكن البلوغ اليها

فقد كانت الكهربائية في نظر الفلاسفة الطبيعيين سنة ١٧٠٠ سببًا خفيًّا لبعض الظواهر الطفيفة وعرف حينئذٍ بل منذ عهد قديم ان بعض المواد كالكهرباء والزجاج تفرك فتصير تجذب الاجسام الخفيفة التي تقرَّب منها . وبعد نحو خمسين سنة عرف فعل الكهربائية في الصواعق وبعد نحو مئة سنة من التاريخ الاول عرف انها تجري كالسائل وبعدمئة وعشرين سنة

منهُ عرف ان لها علاقة بالمغنطيس وبعد ١٧٠ سنة عرف ان لها علاقة بالنور والاشعاع الاثيري

والآن قام اناس يقولون ان الاجسام التي نراها بعيوننا ونلمسها بايادينا انما هي ظواهر حقيقتها الكهربائية وان الدقيقة التي كان الكيماويون يحسبونها جوهرًا فردًا او جزءًا لا يتجزأ انما هي مجموع من الدقائق الصغيرة وهذه الدقائق ليست مادة مكهربة بل كهربائية محضة وكلّ مجموع يختلف عن غيرهِ في عدد ما فيهِ من دقائق الكهربائية وفي ترتيبها فيهِ ونسبة حركتها بعضها الى بعض والى الاثير وعلى هذه الاختلافات وحدها تتوقف الخواص التي يمتاز بها ما كان يسمَّى حتى الآن بالجوهر الفرد او بالجزء الذي لا يتجزأ . والجوهر الفرد خاضع لناموس التغيُّر الشامل لكل ما في السماء والارض ولو كان تغيُّرهُ بطيئًا جدًّا يقتضي من الدهور ما لا يحسب معهُ الزمن الفلكي اللازم لبرد شمس من الشموس شيئًا مذكورًا

فان كانت المادة مجموعًا من الجواهر الفردة وان كان الجوهر الفرد مؤلفًا من الدقائق الكهربائية فما هي هذه الدقائق . قد تكون كما ارتأى الاستاذ لارمور تغيرات في الاثير اشبه بالعقد في مادة متصلة الاجزاء لا تنضغط ولا تتمدد . وسواء صح ارجاع المادة الى هذه الدقائق والوقوف عندها او لم يصح فهذه الدقائق غير منفصلة عن الاثير وتتوقف خواصها على اتصالها بهِ ويستحيل ان تكون كهربائية والاثير غير موجود

حقًّا ان هذا التغير عظيم جدًّا فمنذ مئتي سنة كانت الكهربائية العوبة علمية وهي الآن اصل المادة وجوهرها في نظر جمهور كبير من العلماء . ولم يثبت ان الاثير من عناصر الكون الّا منذ مئة سنة ومن المحتمل الآن ان يكون هو العنصر الذي يتألف الكون منهُ . ويترتب على ذلك امور في غاية الغرابة فقد كان يظن ان حجم الجسم شيء ثابت لا يُعلَّل ولا يتغير مهما تغير جرم الجسم فلا يزيد ولا ينقص ومهما تجزأ فلكل جزء منهُ خواص الجسم كلهِ المادية مهما تغير ذلك الجزء شكلًا وجرمًا وتغيرت صفاتهُ الكيماوية والطبيعية

ولكن اذا ثبت ما تقدَّم عن حقيقة المادة فحجمها قابل للتعليل وقد علل فعلًا وهو ليس خاصةً من خواصها بل عرض عام ناتج عن النسبة بين الدقائق الكهربائية التي تتألف المادة منها وبين الاثير الذين يحيط بها . وهو دائم التغير بحركتهِ السريعة

ثم اننا نعلم الرأي المشهور الآن من حيث اصل الشموس وسياراتها ونفاد القوة منها في شكل النور والحرارة وان الشموس المشرقة الآن هي في منتصف عمرها بين كونها سديمًا نشأت منهُ وبين الظلمة المدلهمة التي تصير اليها اخيرًا حينما تنفد القوة منها وتصير الى برد قارس . وان الشموس التي انقضى اجلها كذلك صارت في حالة السكون التام عناصرها جامدة لا تتحرك

و يستحيل عليها ان تعمل عملاً كيماويًّا . ولا سبيل لها لتستردَّ شيئًا من القوة التي فقدتها ما لم يصدمها جرم سماوي او تنتقل الى فضاء تسخّنهُ شموس اخرى

ولكن اذا سلمنا بالمذهب الكهربائي تغيَّر كل ذلك لان ما يزول من قوة الدقائق المؤَلفة منها الشموس بتحوُّلها الى حرارة اما بالتقلُّص بفعل الجاذبية او بالتفاعل الكيماوي او بقوة اخرى تفعل بين دقائق المادة وبتبدُّد الحرارة في الفضاء الواسع على مر الزمن . كل ذلك لا يزيل القوة كلها من دقائقها بل ان المقدار الذي يزول منها شيءٌ طفيف جدًّا بالنسبة الى ما يبقى مخزونًا فيها فالجسم كلهُ تضعف قوتهُ ولكن القوة المذخورة في دقائقهِ لا يزول منها شيءٌ بل يقيم بعضها مع بعض ساكنًا غير متحرّك ويكون في كلّ دقيقة منها من القوة الداخلية ما لا نفاد لهُ

ثم هب ان احد علماء الفلك كان يرقب الكواكب فرأَى كوكبًا منها انبثق النور منهُ فجأَةً واشتعل واستحال الى غاز يضيء مدة ثم ينطفئ فانهُ يدهش لهذا الحادث العظيم ولكن الدقائق التي تتكوَّن جواهر ذلك الكوكب منها تبقى على حالها وتبقى القوى التي تربطها بعضها ببعض غير مثلومة . والقوة العظيمة التي تزول من الكواكب باشتعالهِ لا تحسب شيئًا مذكورًا في جنب القوى الكامنة بين دقائق جواهرهِ

والقوى التي نعلمها ونبني حسابنا عليها هي اضعف القوى الطبيعية . وما الالفة الكيماوية وقوة التماسك التي تلتصق بها الجواهر بعضها ببعض سوى اثر طفيف من القوة الكهربائية التي تحفظ الدقائق من التجزوء . والجاذبية العامة التي تتقلص بها المواد السديمية فتتكون منها الشموس وسياراتها انما هي شيء طفيف بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الاجسام المكهربة وهاتان القوتان طفيفتان جدًّا بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الدقائق الكهربائية المؤَلفة منها الجواهر . وحركات جواهر المادة التي تسبب الحرارة وعليها تتوقف الحياة وبها تتعلق اكثر الاعمال الصناعية في العصر الحاضر لا تُعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب حركات الدقائق الاصلية التي تتألف منها الجواهر . والظاهر ان حركات الدقائق هذه بعيدة عن ان يصل اليها استعمالنا لاننا عائشون على الحد الموصل اليها ولا امل لنا باستخدامها يومًا ما فلا تدير معاملنا ولا تجرُّ مركباتنا ولكنها لا تقصر عن ان تنبه عقولنا فان السماوات العلى قد راعت الناس وراقتهم من قديم الزمان فاعجبوا بها وعبدوها ولكن اذا كان التراب الذي تحت اقدامنا مؤلفًا من عوالم لا تعدُّ ولا تحصى عناصرها في حركة دائمة فائقة السرعة ومع ذلك مرَّت الدهور وستكرُّ العصور ويبقى توازنها على حالهِ فغرائب ما نراهُ بعيوننا من حركات اجرام السماء

ليست اعجب من غرائب ما اراناهُ العلم الطبيعي حديثاً ولو بعين الاستنتاج

وسواءٌ ثبتت هذه الصورة التي رسمتها لكم رسماً غير جلي او زالت في دورها كما زال غيرها من صور الكون ورُسمت صورة اخرى بدلاً منها على السجل العلمي فكلُّنا يسلّم ان محاولة توحيد الطبيعة كما هو جارٍ الآن لمَّا يروق للعقول و يسرُّ بهِ المرءُ كما يسرُّ اذا صعَّد في عقاب شاقَّة ثم اطلَّ على سهل فسيح الرحاب تتخلَّلهُ الانهار وتتاخمهُ الهضاب · ولا اجسر ان اقول هل لهذه الرغبة في توحيد الكون وردّهِ الى اصل واحد بسيط مسوّغٌ عقلي فان البديهة لا تستلزم على ما اعلم ان يكون العالم المادي صوراً مختلفة لجوهر واحد لا تراكيب مؤلفة من ستين او سبعين عنصراً بسيطاً ولكن لماذا نسرُّ بالرأي الاول ولا نسرُّ بالثاني. فان العلماءَ كانوا دائماً غير راضين عن تعدُّد الاصول فرحَّبوا بكل ما يدلُّ على ان الجوهر الفرد مركَّب وان لجواهر العناصر كلها اصلاً واحداً تشترك فيهِ · وعندي ان هذا الميل النفسي ليس مما يُغضُّ الطرف عنهُ او يُستهان بهِ · فقد كان الفيلسوف جون مِل يستخفُّ بالذين يستصعبون التسليم بان الافعال لا تصل من مكان الى آخر الاَّ بموصل وكان يقول ان الاختبار يرينا انها تصل من غير موصل فلماذا نفرض وجودهُ استلزاماً او موافقةً لغرض في النفس لا يؤَيدهُ دليل · هذا هو احتجاج مِل ولا ردَّ عليهِ عندي · ومع ذلك فان اعتقاد فَرَداي ان الافعال لا تنتقل من غير موصل ادَّى الى اكتشافات بديعة بُنيت عليها صنائعنا الكهربائية وما ترتأيهِ الآن من اصل المادة · والآن لا يسلّم العلماءُ بما استسهل مل التسليم بهِ وهو ان الاجسام تفعل بعضها ببعض من غير موصل بينها مع انهم لا يزالون يجهلون حقيقة التجاذب بين المواد

فما هو هذا الميل الى توحيد العناصر والمواد كلها والاعتقاد بان لها كلها اصلاً واحداً تردُّ اليهِ · هل هو هوًى في النفس يجب اطراحهُ او هو مفتاح لاسرار الكون لا يليق بالحكيم الاغضاءُ عنهُ · ذلك مما لا استطيع البحث فيهِ الآن لانهُ توجد مسائل اخرى يستلزمها الرأي الجديد واريد ان اوجه نظركم اليها في الدقائق الباقية

لامشاحة ان هذا الرأي الجديد في اصل المادة وحقيقتها يخالف اختبار الناس تمام المخالفة · قُلْ لهم ان الكرة الارضية التي نحن عائشون عليها والاجسام الآلية التي من نصيبنا الاتصال بها مادمنا في هذه الحياة الدنيا مؤَلفة كلها من دقائق كهربائية متفرقة في الفضاءِ بينها ابعاد شاسعة جدًّا بالنسبة الى اقطارها فلا يسهل عليهم تصور ذلك الاَّ بعد امعان النظر · وهو يخالف ايضاً الرأي الذي جرى عليهِ العلم حتى الآن وهذا الرأي هو ان صفات المادة على نوعين اولية وثانوية فالاولية كالحجم والشكل موجودة في المادة من غير التفات الى الناظر اليها والثانوية

كالحرارة واللون كان يظن انهُ ليس لها وجود ذاتي مستقلّ وما هي الاَّ نتائج ناتجة عن فعل الصفات الاولية بمشاعرنا وهنا خالف الراي الاخبار

ثم اشار الخطيب الى نزاع الفلاسفة في هذا الموضوع وفي وجود المادة وقال ان العلماء لم يجاروهم فيهِ لان العلم يفرض وجود المادة وصفاتها الى ان قام اصحاب المذهب الجديد الذين يقولون ان الجواهر الاصلية التي تتألف المادة منها ليست مادية بل هي اجزاءٌ صغيرة من القوة الكهربائية فنفوا بذلك وجود المادة ولم يبقوا في هذا الكون غير القوة الكهربائية. ورأيهم هذا في نفي المادة مبنيٌّ على نتائج استنتجوها من الرأي الاول القائل بوجود المادة وذلك من المدهشات فان العلماء الطبيعيين يدَّعون انهم بنوا كل ارائهم العلمية على الاختبار وهذا الاختبار انما هو شعورنا بالكون المادي لكن النتائج التي اوصل اليها مناقضة لهُ على خط مستقيم حسب الظاهر. اي ان ما اتصلنا اليهِ من معرفة حقيقة الاشياء مبني على مالا حقيقة لهُ والصور العقلية التي نستخدمها في ايضاح هذه الحقيقة للغير منتزعة من تخيلات لاحقيقة لها ينهانا العلم عن الاعتقاد بها وتأمرنا الطبيعة باستعمالها

وصلنا الآن الى مسائل يجب ان يبحث فيها منطقيًّا ولكن علم المنطق لم يعبأ بها فلا يلام رجال العلم لانهم مشتغلون باكتشاف الاكتشافات لا بتحليل المسلَّمات الاساسية التي يقتضيها اكتشاف هذه المكتشفات . ولا يلام الفلاسفة الباحثون في ما وراء الطبيعة لان آراءهم تتجه الى جهات اخرى ورغبتهم في حل فلسفة الكون ضعيفة. وكيفما حُلَّت المسائل التي يبحثون فيها بنوع خاص لحلها لايقرّب المشاكل التي اشرت اليها من الحل الحقيقي ولا يبعدها عنهُ . فالعلماء الطبيعيون والفلاسفة الخياليون بعيدون عن البحث في هذه المسائل واما الفلاسفة المجرّبون فليسوا بعيدين عنها ولكنهم لم يحلوها ولا يظهر انهم فهموا انهُ توجد مسائل تستلزم الحل حاسبين ان مدار العلم انما هو البحث في الظواهر الطبيعية وانهُ يقضي ما يطلب منهُ اذا عرف الاسباب القريبة لان غرضهُ البحث عن نواميس الطبيعة لا عن حقيقتها واذا بحث عن حقيقة المذاهب العلمية وكيفية الوصول اليها رأى ان البحث الاستقرائي الذي اعتمد عليهِ العلماء حتى الآن قليل الحقائق العلمية

ثم ان هناك امرًا آخر اهتمُّ بهِ كثيرًا ولو ظهر لي انهُ لا يهمُّ احدًا غيري . وهو ان معارفنا الطبيعية مبنية كلها على شعورنا. وهذا الشعور يقنعنا بوجود العالم المادي ويرشدنا الى اوصافهِ ومقوماتهِ لكن شعورنا هذا مبنيٌّ على مشاعرنا فالذي ننظرهُ لا يتوقف على المنظور فقط بل على العين الناظرة ايضًا والذي نسمعهُ لا يتوقف على المسموع فقط بل على الاذن

السامعة ايضاً . غير ان العيون والآذان وكل الحواس نشأت فينا وفي اسلافنا من انواع الحيوان بالطريقة البطيئة طريقة الانتخاب الطبيعي . وما يصحُّ على المشاعر يصحُّ على القوى العقلية التي مكنتنا من ان نبني على مدركات المشاعر بناء العلم العظيم . ومدار الانتخاب الطبيعي النفع كما لا يخفى فما كان نافعاً للنوع في جهادهِ لاجل البقاء حُفظ وتقوَّى وما هو غير نافع فهو عبءٌ ثقيل يزول مع الزمان . ومعلوم ان مشاعرنا ارتقت قبلما صرنا نستخدمها في البحث عن اسرار الحقائق الطبيعية بدهور كثيرة لان اكتشافاتنا في هذا الباب انما حدثت بالامس . فقوى الانتخاب الطبيعي الخالية من الادراك فعلت فعل المدرك المدبر في اعدادها مشاعرنا لادراك ما تدركهُ الآن وهي خالية من التدبير. فالصدفة العمياء قادتها الى تجهيز الانسان بالقوة الفسيولوجية والعقلية التي تؤَهلهُ للمباحث الطبيعية العالية . والعلم الطبيعي يدلنا على ان كل حاسَّة من الحواس وكل قوة من قوى العقل لا تساعدنا على الحرب والاكل واخلاف النسل انما هي فضلة زائدة عن القوى التي تساعدنا على ذلك فلم نعطَ المشاعر للبحث العلمي ولا ارتقت قوانا العقلية من قوى الحيوان الاعجم لقياس الافلاك وقسمة الجواهر

ولهذه الاسباب تجد ان ما يعتقدهُ الناس من امر العالم المادي الذي هم فيهِ ناقص بل هو خطأٌ تام . فقد عاشوا كلهم حتى آخر القرن الماضي في عالم من الوهم واوهامهم التي يهمنا النظر فيها الآن لا تتعلَّق بامور بعيدة او الهيَّة فائقة الادراك بل بامور نراها بعيوننا ونلمسها بايادينا — بامور الحياة العادية — الامور التي نختبرها وننظر اليها واثقين اننا نعلمها حق العلم . ولعل سبب ذلك ان وقوع هذه المحسوسات تحت ادراك المشاعر كان مانعاً في طريق الجهاد لاجل البقاء بدلاً من ان يكون معيناً لهُ او ان الكذب كان انفع من الصدق او انهُ لم يكن في الامكان البلوغ الى نتائج احسن من هذه مع ما نحن فيهِ من نقص الاعضاء . واذا صدقت هذه النتيجة فهي تشمل غير الحواس من وسائل المعرفة اي انها تشمل قوى العقل ايضاً . فان كان النشوء قد عجز عن ايجاد آلات يوثق بها لادراك الامور الاختبارية فكيف يعوَّل عليهِ في تجهيز العقل بما يلزم لهُ لاستخدام هذه الامور واستنتاج الاحكام العقلية منها

اعتبارات مثل هذه ان لم اكن قد ادمجتها ادماجاً يخرجها عن حد المفهوم تدلُّ دلالة قاطعة على عدم الانتظام في كل مذهب علمي عامّ يبنى على العلم الطبيعي وحدهُ . وسّعوا نطاق المعارف كما تشاؤُون وارسموا صورة الكون على ما تريدون وردوا كل ما فيهِ من المتخالفات الى صور الاثير المالىء الفضاء واستقصوا تاريخهُ الى زمن تولُّد الجواهر وبيّنوا كيف تفعل بها الجاذبية العامة فتكوّن منها السدام والشموس وكل كواكب السماء ثم كيف تجمَّعت هذه الدقائق في

كوكب منها وركّبت المركبات الآلية ثم كيف صارت المركبات الآلية اجساماً حية وكيف ارتقت الاجسام الحية على اساليب مختلفة فتولّد منها اخيرًا نوع من الحيوان ارقى من غيرهِ وبعد قرون كثيرة نشأ من هذا النوع حفنة من العلماء فالتفتوا الى ما حولهم ونظروا الى العالم الذي انشأهم وعرفوهُ وحكموا عليهِ. افعلوا ذلك كلهُ فتكونوا قد اوجدتم العلم ولكنكم لا تكونون قد اوجدتم شيئاً يكفي لاقناع العقل تمام الاقناع لانهُ يبقى شيء لا تفسرهُ هذه السلسلة المتتابعة الاسباب والنتائج تفسيرًا مقنعاً وهو اصل المعرفة نفسها فان العلم الطبيعي يحسب المعرفة نتيجة اشياء غير عاقلة لانهُ لا يعرف الاَّ الاشياء غير العاقلة ولكنهُ يضطرُّ ان يحسب المعرفة شيئاً عقلياً والاَّ انتفى العلم نفسهُ. فالصعوبة الاولى هي استخراج معتقداتٍ من الاختبار ينقضها الاختبار نفسهُ. والثانية هي التوفيق بين اصل هذه المعتقدات وبين ما ندَّعيهِ لها من الصحة لاننا كلما زدنا استقصاء في تعليل اصلها زدنا شكاً في صحتها وكلما زاد المذهب العلمي شمولاً زادت الصعوبة في اكتشاف الوسائل التي علمناهُ بها استحكاماً

هنا الحدُّ الذي لا يتعداهُ العلم الطبيعي ووراء هذا الحد مجاهل لا يستطيع اكتشافها وانما هي من نصيب الفلسفة. وهي ليست من شؤون هذا المجمع لاننا قد اجتمعنا لنرقي المعارف في قسم من اقسامها الكبيرة فلا نفيدها بتشويش التخوم وتغيير الحدود التي تفصل عادة بين قسم وآخر

وقد يقال انني لم اجرِ على هذه السنَّة التي سننتها بل تخطيت الحدود التي يشتغل ضمنها علماء الطبيعة. فان كان الامر كذلك فمني العذر ومنكم الصفح ولقد كان غرضي الاول ان احرّك في نفوس الذين مثلي ليسوا من علماء الطبيعة المحنكين الاهتمام بالمذهب الجديد الذي هو اوسع نطاقاً من كل المذاهب التي تدعي ان الامتحان يؤيدها. وان كان الغرور قد حملني على الاشارة الى رأيي الخصوصي وهو ان العلم الطبيعي يزيد ميلاً في ارتقائهِ الى تفسير امور الكون تفسيرًا غير مادي فالذين يوافقونني اقل من غيرهم لا يضنون بالعفو عني

سكة الحجاز

رأَت الدولة العثمانية ان بلاد اليمن والحجاز شاسعة عن مقر السلطنة ومنبعث القوة وان بعض قبائلها لا تنفك تبدي نواجذ الشر والنشوز كلما لاحت لها الفرص واهتبلت الغِرَر فيتعذر للحال تسريح الجيوش اليهما مئات من الاميال برًّا وبحرًا فارتأَت منذ خمس سنين مدَّ خط حديدي من دمشق الى مكة وهي مسافة لا تقل عن الف وتسعمائة كيلومتر مدّت منها منذ شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٣١٦ (١٨٩٩) حساباً شرقيًا اربعمائة وستين كيلو مترًا . وقد احتفل في اليوم الاول من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٤ اي يوم ذكرى جلوس الحضرة السلطانية بوصول الخط من دمشق الى معان. بحضور وفد سلطاني رافقتهُ في رحلتهِ وشهدت مع الشاهدين ان هذا العمل من خير ما تم على ايدينا من الاعمال في هذا العصر. وهو وان لم يبلغ كمالهُ والكمال الآن كالطفرة محال فيكفي انهُ مثال من جهد المقلّ وعنوان على الثبات والجدّ

كان العقلاءُ يظنون بادىءَ بدءٍ ان دون انشاء الخط الحجازي خرط القتاد وشرط الحداد لما عُرف من ان القوم اهل اقوال لا افعال اذ قام لهم وعليهم من الماضي اكبر برهان على وناء الهمم وضعف النفوس ولكن لم يلبث هذا الظن ان انقلب يقيناً وصار ما يعدُّ من قبيل الخيال في حكم الحقيقة . وعلى نسبة ما كان يتم من الاميال والفراسخ كانت تتبدل لهجة الناس شرقًا وغربًا في الحكم على هذا المشروع . ولو لم يكن فيما مدّ الى اليوم من الخطوط الحديدية الأَ اشارة الى ما في الامة العثمانية من القوة الكامنة والذكاء الفطري والعزائم التي متى دُعيت اجابت لكفى في إثبات الفضل والاشادة بالمحمدة . ولا عجب فالعثمانيون على اختلاف عناصرهم مؤَلفون من ارقى السلائل البشرية التي استفاض ذكر اعمالها في القرون الغابرة . فحريٌّ بهم وبلادهم ما علمت من الاعتدال وزكاء التربة ان يتعلموا اذا علموا وينجحوا اذا حسن تدريبهم وان لا تعجزهم مضاهاة ارقى الشعوب متى صحت منهم العزائم وحسنت قيادتهم

وكيفما كانت الغاية من انشاء هذه السكة فقد تلقتها الامة بانها اسلامية وطنية يقصدبها تخفيف وعثاء السفر عن حجاج المسلمين واستعمار البلاد . ولذلك بادر سكان الولايات العثمانية المسلمون فجمعوا او أُريدوا على ان يجمعوا اعانات للانفاق على الخط . وتلكأَ اولاً بعض من جرت عادتهم ان يكونوا اول الباذلين في كل ما تريد الدولة القيام بهِ من الاعمال لانهم كانوا في شك من اتمام العمل. ولما اخذت امارات الهمة تبدو حيناً بعد آخر اخذ الهنود والمصريون

يشتركون في مد يدْ المعونة وقد جاد بعض المكتتبين بليرة وليرتين لكل كيلو متر ودفع بعضهم عشرة آلاف جنيه بدون ان يُعرَف اسمهُ . واذ ايقنت الدولة انهُ يتعذَّر انجاز العمل بالاعانات اخترعت طوابع واوراقاً ذات قيم للاستعمال في بعض الاحوال والاشغال ووضعت مكساً على امتيازات المعادن التي تعطى في البلاد وعلى الاراضي الاميرية التي تباع واخذت تتقاضى كل سنة عشر شهر ايار (مايو) من المأمورين الذين تتجاوز مشاهراتهم خمسمائة قرش من الملكيين والعسكريين

للخط لجنة علياء مقرها الاستانة وهي مرجع جميع الاعمال الادارية وبيدها فض الكليات والجزئيات ولهُ لجنة فرعية مقرها دمشق ترجع في شؤُونها الى لجنة الاستانة . ويعمل في الخط نحو اربعين مهندساً نصفهم من المسلمين العثمانيين جيءَ بهم اولاً بمثابة معاونين للمهندسين الاجانب فلما تبينت كفاءتهم بفضل رئيسهم المسيو مايسنر الالماني وظهر لهُ ان المهندس العثماني اذا مُرّن تأهل لمد احسن طرز من الخطوط الحديدية رقَّى رواتب بعضهم ورتبهم فجعل مختار بك رئيساً للمهندسين في خط حيفا . ويقول الخبيرون بانهُ سيكتفى بعد حين بالمهندسين العثمانيين في مد هذه السكة وغيرها اذ قد اصبح مهندسونا بعد ان كانوا يدرسون الهندسة نظريًّا في دار الهندسة بالاستانة يدرسونها اليوم عمليًّا . ولشدة تفاني المهندسين في التوفر على العمل مع إجادتهِ استحقوا ثناء الخاصة والعامة وأُعجب القوم بغيرة مايسنر الالماني وشريدر الفرنساوي ومختار واحمد ونوري العثمانيين وغيرهم من الرؤَساء الذين لهم الاثر المحمود في اخراج هذا العمل من القوة الى الفعل وكانوا قبل لا يعرفون كيف يسيرون فغدوا اليوم بفضل الدربة والبحث كاحسن الدارسين المفننين

اذا علمت هذا ساغ لك ان تقسم المهندسين الى فئتين اجانب ووطنيين كلهم سواءٌ في الهمة وبعد النظر كما يقسم العملة الى قسمين قسم الجند النظامي الذي سُخّر للعمل في الخط تحت نظارة ضباطهِ وقوادهِ وقسم عامة العملة من وطنيين وغيرهم ممن يستخدمهم الملتزمون والمقاولون. وبلغ عدد العاملين من الجند اربعة آلاف وخمسمائة وكان يعمل نحو خمسمائة عامل من غير الجند من دمشق الى عمان فلما تجاوزت الخطوط الحديدية هذه المدرة صار يشتغل فيهِ نحو الف عامل من عملة الملتزمين اما عدد الحيوانات العاملة فلا يعلم بالتمام . ويأْخذ الجندي وضابطهُ اجوراً وأُعطيات تقبض رأس كل شهر فيتناول الجندي قرشاً صحيحاً عن كل متر مكعب من التراب حفراً واملاءً وثلاثة قروش عن المتر المكعب من الصخر المتوسط واذا زاد الصخر صلابة تقدر اجرة عاملهِ عن كل متر من الثلاثة الى الستة قروش فيصيب الفرد والحالة هذه في الشهر نحو

جنيه عثماني · اما الضباط فقد خصص لهم لقاء كل متر يعمل تحت نظارتهم خمس بارات فيتناول رئيس المئة مثلاً من الستة جنيهات الى العشرة في الشهر بقدر ما لديهِ من الجند على حين لا يتجاوز راتبهُ الاصلي اربعة جنيهات

حدثني بعض الاجانب من عمال الخط قال ليس اصبر من الجندي العثماني على تحمل المشاق والقناعة بالقليل فالفرد يعمل عمل الجماعة من الغربيين وقد كان يمد من الخطوط الحديدية قبل الشهر الاخير كيلو متر ونصف كل يوم ثم زادت الهمة فصاروا يمدون كيلومترين ثم تدرجوا الى ثلاثة كيلو مترات حتى دهش الاهلون واخذوا يشبّهون الخطوط الحديدية في سرعة تمديدها بانها سيل من حديد · وقد مرنت ايدي العملة كلهم فصاروا يمدون بعد الآن ثلاثة كيلو مترات في النهار بدون ريث ولا عجلة · ويكلف كل كيلو متر الفًا وخمسمائة جنيه عثماني يدخل في ذلك نفقات بناء المحطات واحواض المياه وغيرها من مرافق السكة وهي اقل قيمة تنفق على اقل خط حديدي في العالم · ولكثرة الموجود الآن في صندوق السكة من الدراهم واستكمال الادوات الاساسية عقدت نواصي الآمال بانهُ لا تمضي ثلاث سنوات الاَّ ويصل الخط الى المدينة

وبعدُ فان المسافة بين دمشق ومعان عشرة ايام لراكب المطايا من قصاد البيت الحرام وهذه المسافة هي ربع الخط بين معان ومدائن صالح والمدينة ومكة او ثلث الطريق بين دمشق ومعان ومدائن صالح والمدينة · وذرعها اربعمائة وستون كيلومترًا يقف القطار في ست وعشرين محطة وهي : القدم · الكسوة · دير علي · المسمية · جباب · خبب . المحجة شقرا · اذرع · خربة الغزالة · درعا · نصيب . المفرق · خربة السمرا · الزرقا . قصر عمان لُبّن · جيزة. صنبعة . خان الزبيب · القطرانة . الحسا . جروف الدرويش · عنيزة · معان · وقد قطعها القطار هذه المرة في ست وعشرين ساعة وفي المكنة ان يجتازها في عشرين اذا وقف وقفًا معتدلاً في المحطات ولم يغذَّ السير بحيث يكون عرضة للخطر · قال احد الموظفين في الخط من الاجانب لو عملت هذه السكة من الخط العريض (نورمال) اي بعرض ١٥٠ سنتمترًا لقطع القطار ثمانين كيلو مترًا في الساعة فاجتاز المسافة بين دمشق ومعان في سبع ساعات اما خطنا هذا وعرضهُ ١٠٥ سنتيمترات فلا يقطع قطارهُ اكثر من خمسة وعشرين كيلو مترًا في الساعة هذا مع سهولة الطريق الاَّ في النادر · ومن المقرر انهُ متى تمت الاعمال على محورها يمشي القطار اربعين كيلو مترًا في الساعة · وسمعت بعض من لهُ علاقة بالخط يقول ان الدولة فكرت اولاً في عملهِ عريضًا ولما حسبت نفقاتهِ وجدتها ضعفي نفقة الخط الضيق

فاختارت الثاني لانهُ يقصد بهِ ان يكون خطًّا حربيًّا لا خطًّا تجاريًّا وان يكن ينفع الخط بين حيفا ودرعا ودمشق ومعان في رواج التجارة والزراعة لانهُ يسير في بلاد عمرانها طبيعي

⁂

من لم يلقِ نظرًا بليغًا في انحاء الخط وحناياهُ يظنّ ان الماءَ ناضب والحقيقة ان قلتهُ محسوسة على اديم الارض ومخزون في بطنها وهو غزير من دمشق الى معان اذا حفرت لهُ آبار ارتوازية او خزن في احواض وآبار ويوجد من معان الى مدائن صالح وهذا القسم الذي يعمل فيهِ الآن لا يتعدى المئة والخمسين كيلو مترًا ويتعذر امهاءُ الآبار منهُ اما ماوراءَ ذلك من الكور الحجازية فالماءُ فيهِ كثير . ولذلك سلكت الدولة في هذا الخط طريق الركب الشامي الى الحجاز لانهُ اعمر من غيرهِ واكثر امواهًا بالطبع . حدثني احد الامراء ان في وادي سرحان على مسيرة اربعة ايام من محطة المحجة مياهًا غزيرة وان نهر الازرق يجري في تلك الانحاء ولا ينتفع بهِ حق الانتفاع وان الاهلين قد يسيرون خمس ساعات لورود الماء كما هو الحال في عين حامر وراءَ محطة خبب فان اهل جوارها يقصدونها من الاقاصي للاستقاء وانهُ كان طريق عجلات من بصري اسكي شام في حوران الى بصرة العراق وكان على كل ساعتين محطة وبئر ماء يستقي منهُ السفار . وفي قضاء السلط انهار عدة كما في احصاء الحكومة كالاردن والزرقا ووادي شعيب ووادي السير وبحات وعمان وحسبان تسقي اراضي تبلغ مساحتها نحو خمسمائة فدان فقط

هذا ما لقفتهُ من الثقات عن حالة الخط الحاضرة . ولقائل هل يكون لهذه المسالك التي لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حظٌ من العمران بعد امتداد الخط الحديدي فيزرع في تلك الاصقاع الجرداء المرداء مايجود فيها من ضروب النباتات والثمار وتقام ثمت للصناعة مصانع وللتجارة اسواق وهل يؤثر هذا المشروع الاثر المطلوب في ثروة الاهلين ويمتعهم بطعم المدنية والراحة . نعم ان هذا سيكون ولكن لا في القريب العاجل شأن حركة الارتقاء في هذه البلاد فانها سائرة على مهل مناطة بالاتفاق والطبيعة لا بالتعمل واتخاذ الاسباب

وقد بدأ الاهلون في هذه الارجاء يدركون ماهية الربح وقيمة الكدح فترى بعض سكان البلاد المجاورة للخط يعملون في السكة مع العامل الاجنبي وباجرة تكاد تكون كاجرتهِ حتى ان الرجل الذي كان لهُ عشرون جملاً لا يستفيد منها الاَّ قروشاً معدودة في اوقات محدودة من السنة صار الآن بفضل غدوّهِ ورواحهِ في اعمال السكة موسعاً عايهِ في الرزق يربح مئات القروش . وهكذا قل في سائر السوقة والباعة . اشترك في هذا الربح المجاورون للخط واصاب

سكان دمشق وبيروت والقدس وسائر بلاد فلسطين قسط وافر من هذه الارباح سواء كان من البياعات او المقاولات والالتزامات التي نشط بعضهم الى عقدها مع زعماء النظار على السكة وقد كانوا يتخوفون ذلك قبل فلما رأوا انتظام الاشغال وتأدية المطاليب في حينها بدون مطل ولا الحاف اخذوا يلتزمون عشرات من الكيلومترات فيستفيدون ويفيدون

ضمني مجلس وشيخ قبيلة الحويطات استدللت منهُ على ذكاء اهل البادية قال لما رأى الدولة مدت السلك البرقي في دمشق الى المدينة منذ نحو ثلاث سنين استنتج ان مئات الافدنة الشاغرة الواقعة على طريق السلك في الناحية التي تنزلها عشيرتهُ لابد ان تملك وتسجل باسم احد في سجلات الحكومة فما كان منهُ الاَّ ان خطط قسماً كبيرًا منها وفلح بعضها على حين كانت بورًا معطلة حتى اذا مر الخط الحديدي من ناحيتهِ ايضاً عمر لهُ دارًا فيما استصفاهُ من الفلاة ولكن ما اسرع ما اشرفت على الخراب فان قبيلة اخرى ممن يناصبنهُ العداء حملت على تلك الدار فخربتها جملة حتى عادت قاعًا صفصفاً . قال فلو كان لهذه البلاد امن لاطمأن السكان وعمروا كل ارض سهلة المأخذ قابلة للحرث والكرث . وحدث الثقات من العمال ان جميع الاراضي القابلة للفلاحة في لواء الكرك التي لا مالك لها ستضاف كامثالها الى الاراضي السلطانية الخاصة وتجعل اباعد مهمة وتفاتيش منظمة كما ان بعض اعيان دمشق استصفوا مئات من الافدنة ليستنبتوها

لاجرم ان الخط الحجازي يمر على ما يعلم من محطاتهِ ببلاد متوسطة في شهرتها وعمرانها ومن انعم النظر في مسيرهِ من حيث الجملة يجد انهُ مرَّ في ارض حوران وهي مخزن غلات سورية مشهورة بجودة حنطتها وطيب تربتها . وكان مركز لواء حوران اليوم وهو شمسكين (او شيخ مسكين المحرَّفة عن اشمشكين) مركز حكومة آل غسان قبل الاسلام على ما في احصاء الحكومة وفي معجم البلدان ان بصرى كانت قصبة هذه الكورة وما برحت "قراها ومزارعها وحرارها(١) منازل العرب وقد ورد ذكرها في اشعارهم" ويمر الخط في لواء الكرك الذي أُسس منذ زهاء عشر سنين واراضيهِ على ما في تقرير الحكومة مخصبة منبتة وهي على طريق القوافل من مصر الى الحجاز وانهُ كان لهُ شأن يذكر في القديم وقد جعل مركزًا للحكومة على عهد الصليبيين وقامت فيهِ بعض الحصون والقلاع ولما استولى عليهِ آل ايوب زاد حصانة وعمارة ولم يبقَ اليوم الاَّ اثر طفيف من تلك القلاع والحصون يدل على ما كان في الاعصر السالفة من الترقي

---

(١) الارض الحرة بفتح الحاء هي ذات حجارة نخرة سود كالحرار والحرات

هذان اللواءان او المركزان هما من اعمال ولاية سورية فان يكن سمي لواء حوران باسم اقليمهِ ولواء الكرك باسم مركزهِ ففيهما بلاد كان الاولى بها ان تكون مراكز الحكومة وسينقل مقر حكومة حوران من شمسكين الى درعا كما نقل من الشيخ سعد قبلاً وذلك لاهمية درعا. ولعل مركز الكرك ينقل على حسب الاحوال فيصير في معان مثلاً. هذان اللواءان وان كان اسمهما قليل الشيوع فان مساحتهما كبيرة يليق بهما لو كانا عامرين ان لا يكونا ولاية فقط بل ان يكونا ايالات قائمة برأسها وما اظن سويسرا اكبر مساحة من نصفهما ولكن شتان بين بلاد استنبتت فيها الصم الصلاب فاخصبت وامرعت وغرست في ذرى جبالها القاحلة وآكامها المصخرة الوعرة صنوف الاشجار وبلاد قد تسير فيها اليوم واليومين والثلاثة ولا تجد فيها ماء تشرب منهُ ولا شجرة تستظل بها وبين بلاد تأوي ثلاثة ملايين من السكان المنوَّرين كلهم وبلاد ليس فيها نصف مليون ما فيهم خمسمائة رجل يقرأ ويكتب حتى بركاكة زائدة. وبين بلاد اقل من ما فيها راحة دائمة وعيش خضال يقصدها اعاظم سياح الارض للاستمتاع بمناظرها وراحتها وبلاد اقل ما فيها شن غارات تباع فيها الارواح بيع السماح وتفشي المحرمات والموبقات بحيث عدت بين اهلها من المستحب او المباح

اكثر سكان حوران اهل فلاحة يقيمون في الدساكر والقرى اما اهالي الكرك فمعظمهم بادية من اهل الوبر ينزلون الخيام والآطام تفرقوا عشائر وتجمعوا عصابات وقد يغير بعضهم على بعض على ما جرت بهِ عادة اهل البادية كلما بعدوا عن المعمورة. ومن عشائر حوران عشيرة زبيد وتعرف ايضاً بعرب اللجاة تقيم في اللجاة من أعمال بصر الحرير وفئة من بني صخر يدعون الكعابنة وكذلك السرحان وولد علي والاشاجعة وهما من عنزة والطيار والعيسى والسردية والسوالمة والروالة والخريشة وفي لواء الكرك قبائل الحويطات وبني صخر وبني عطية والشرارات والمجالي ولم يحرث الارض من هؤلاء الا مشايخ بني صخر تملكوا بعض خرب في انحاء السلط قوةً واقتدارًا واخذوا يستغلونها وتفلح لهم وهم ابدًا يتنقلون في الفجاج والسهول مسيرة ايام فبينا تراهم قرب نجد او في سواد العراق اذا هم في البلقاء او حوران او ارض الشام انتجاعاً للكلاء وورود مناهل الماء

ولقد تبين لي ان سكان هذه البلاد وان فطر اكثرهم على حب الغارة ومد يد الاذاء بالحرام هم من اقرب الناس لقبول الحضارة وتأليف شاردهم. والذهن الخالي يسهل نقش ما تريد طبعهُ فيهِ من الافكار اكثر من الذهن المملوء بالخرافات والتقاليد. خذ لذلك مثالاً اهالي لواء الكرك فقد عودهم حسين حلمي باشا متصرفهم الاول ان لا يرشوا العمال وشدد النكير

عليهم في ذلك حتى حرج عليهم انزال فرسان الدرك واطعامهم فأتمروا بكل ما امرهم بهِ الاَّ انهم لم يرضوا الاَّ باقراء من ينزل عليهم من اولئك الفرسان وتقديم العلف لدوابهم مخافة ان يرموا بالشح على حين من عادتهم ضيافة من لا صلة بينهم وبينهُ من ابناء السبيل بدون عوض ولا غرض · فعربان الكرك والحالة هذه مثال الطاعة يتفانون في محبة الصادقين من الموظفين ولا يشكون الاَّ من سوء استعمال بعض مأموري المالية

كان لهذه البلاد حظٌّ من المدنية قديمًا يدرك ذلك من يجوب نواحيها ويستبطن خوافيها قال ياقوت والبلقاء كورة من اعمال الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل · قال محمد بن احمد البشَّاري عمان على سيف (١) البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانهار بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مُسَفْسَف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطلُّ عليها وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطرق اليها صعبة

وقال ياقوت والشوبك قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وابلة والقُلْزُم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخهِ ان يقدور الذي ملك الفرس سار سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طيء وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى فعمرهُ ورتب فيهِ رجالهُ وبطل السفر من مصر الى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن اه . وفي وسط قلعة الشوبك باب حجري قديم ينزل الى بئر فيهِ بثلثمائة وستين درجة وقد استعصت هذه القلعة على ابراهيم باشا المصري لما اراد فتحها ايام حملتهِ على سورية

اما وادي موسى المعروف عند الافرنج بيترا فهو كما جاء في تقرير الحكومة على اربع ساعات ونصف من معان مشهور بآثارهِ وعادياتهِ المدهشة وفيهِ من النواويس والقصور والهياكل ومدينة كلها من الصخر ما يدعو علماء الغرب الى شد الرحال اليها وقيل ان بعضهم نقل معهُ شيئًا من تماثيلها وحجارها المنقوشة · وفي قضاء درعات وقد بني فيهِ الآن محطة عظيمة للسكة ومعمل لتصليح ادواتها – آثار حمام قديم جسيم · وفي وادي الشلالة الفاصل بين درعا وعجلون من ناحية درعا مغاور قديمة على صورة غرف ومقاصير حرية بامتاع العيون بها وينبجس من هذا الوادي ماءٌ عذب سائغ من مغارة حفرت في قطعة واحدة من الصخر منقطعة القرين وعرض هذه المغارة ثلاث اذرع وارتفاعها ست · انتهى معربًا عن تقرير الحكومة

---

(١) في القاموس السيف بالكسر ساحل البحر وساحل الوادي او لكل ساحل سيف او انما يقال ذلك لسيف عمان

وفي السلط عاديات كثيرة حرية بالنظر وفي هذا القضاء نحو ثلثمائة قرية خربة وآثار مغاور ومرسح في عمان على شكل هلالي نُقر في سفح جبل وهناك حصن على اكمة وفي هذا القضاء ايضاً مياه معدنية كثيرة تصب كلها في بحيرة لوط وفي وادي معين حمام زرقاء معين ماؤهُ سخن اجاج معدني من جهة وعذب بارد من الجهة الثانية · وفي معين ومادبا وحسبان آثار كثيرة ظريفة · وفي شمالي قضاء الطفيلة وادي العفرة وفيهِ مناجم حديد وحمام معدني ينسب الى سليمان بن داود ثبت نفعهُ للامراض العصبية الى غير ذلك من الآثار المحيلة في صرخد واذرعات وبصرى وجرش وغيرها من البلدان التي كان لها مكانة من العمران في سالف الازمان

⁂

هذا اهم ماينبغي ان يقال في السكة الحجازية وبلادها · بقي ان اشير الى الخط بين حيفا ودرعا فاقول ان الحكومة العثمانية لما رأَت شركة سكة الحديد بين بيروت ودمشق وحوران الفرنسوية تتصعب في نقل ادوات السكة وتشتط في تقاضي الاجور ابتاعت سكة حيفا من صاحب امتيازها الذي عجز عن تمديدها بمئة وخمسين الف جنيه عثماني وكان مُدَّ منها تسعة كيلومترات وعمل منها ستون كيلو مترًا من الاعمال الترابية ناقصة الاَّ قليلاً . وسيكون طول هذا الخط من حيفا الى درعا مئة وخمسين كيلو مترًا ومتى التصق الخطان الواحد بالآخر تتقدم حيفا وتقف بيروت عن رقيها لقرب حيفا من مصر والاستانة واوربا خصوصاً بعد تشييد مرفإٍ يجري في تلك المدينة الصغيرة الذي سيقام بايدي عثمانيين وعلى نفقتهم على مثال مرفإِ بيروت

وقد بدئ بالعمل في هذه السكة في ابار (مايو) سنة ١٣١٩ شرقية فمد منهُ الى الآن ثمانون كيلو مترًا وقد تجاوز التراب الكيلو متر الخامس والتسعين وما دعا الى التريث الاَّ تأخر جسر اليرموك الحديدي في المعمل الموصى عليهِ فيهِ واذا حضرت جسور هذا الخط وهي ستة اوسبعة كما ان انفاقهُ (تونل) ثلاثة وواحد في خط معان فالمأمول ان تسير القطارات وتتصل بدرعا في شهر نيسان (ابريل) القابل · اما المحطات التي يمر بها الخط فهي : حيفا · تل الشمام عفولة · بيسان · جسر المجامع · صماخ · الحمة · الكوية · تل الشهاب · درعا · نجز منها حتى الآن اربع محطات وصرف على جميع هذا العمل خمسة وثلاثون الف جنيه عثماني ويقدر ماسينفق على هذا الخط وحدهُ بثلثمائة الف ليرة عثمانية يضاف الى ذلك ثمن الامتياز · وقد جرى التزام الخط كلهِ ويعمل فيهِ الآن نحو ثلثمائة جندي

ويمر هذا الخط في ارض مخصبة للغاية ويقول بعض اهل النظر انها من اخصب ارض الله وفيها معادن كثيرة · هذا وحال الفلاح فيها على ضعف وخمول فما بالك لو عني باستنباتها على الطرق الحديثة وخصوصاً من حيفا الى مضيق الحمة وفيهِ مرج بني عامر واراضي بيسان والغور واصعب ارض فيهِ على المرور وادي اليرمون الذي يعمل فيهِ الآن ليل نهار وهو ممتد من مضيق الحمة الى تل الشهاب · قال احد الافاضل ومن عجائب هذا الوادي مياههُ الكثيرة المتردمة وغاباتهُ الكثيفة التي لم تمسسها يد · وفي تل الشهاب وزيزون (ام القصب) سبعة شلالات او ثمانية ارتفاع انحدارها عشرات من الامتار تدار بها نحو عشرين رحىً وتنفع لكل صناعة ويتأتى استخدام هذه الشلالات في عمل محرك كهربائي (دينامو) لإنارة المحطات البعيدة والقريبة بالكهربائية

والحمة مياه معدنية مشهورة منذ القديم تنفع الامراض العصبية والجلدية وهي احسن من حمامات كارلسباد في بوهيميا وحمامات بورصة في الاناضول وحمامات حلوان مصر · فيها على ما روى الثقات املاح كثيرة نافعة تدفع عادية اكثر الامراض وتلائم حرارتها معظم امزجة سكان الارض فتبدأُ تدريجاً من ال ٣٦ الى ال ٥٦ درجة بميزان سنتغراد وشربها يقوي المعدة ويسهل الهضم

وتجتاز سكة حيفا بساحل طبرية في محطة صماخ ووادي الحمة وغير خاف ما لبركة طبرية من الاهمية التاريخية والدينية التي تستدعي السياح الى زيارتها ويقال انهُ متى تم الخط الحيفاوي تجعل شعبة من عفولة الى الناصرة قدر ثلاث ساعات فتحيا بذلك فلسطين وينتقل جانب كبير من التجارة اليها لاسيما اذا مدت شعبة من القدس الى عمان

ومضيق الحمة من اعمال جبل عجلون وحاضرة هذا الجبل اربد وكان اسمها في الاصل ابيلا اواربيل. وعلى مقربة من مكيس على ما ذكر المؤرخون مرسح للرومان ذو احجار محكمة الصُنع . وخرابة جرش المشهورة هي من اعمال عجلون ايضاً أُثر عنها رُواءُ الصنعة وجسامة البناء وهي اشبه بعاديات تدمر وبعلبك قيل انها عُمرت زمن الرومانيين وان لم يثبت انها اشارة لمدنية قوم بعينهم · وفي اراضي مخيبة على ساعتين ونصف من قرية مكيس مياه معدنية كثيرة تنفع في شفاء النقرس والامراض الجلدية ومن العجيب ان معظم الحمامات المعدنية في هذا الاقليم منبعثة من جانب الغور الشرقي

وعلى الجملة فيجتاز الخط الحيفاوي ما عرف قديماً ببلاد الأُردن" احد اجناد الشام الخمسة. جاء في معجم البلدان انها كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد

بن الطيّب السرخسي الفيلسوف هما اردنان أُردن الكبير واردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينهُ وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشرِ ميلاً تجتمع فيهِ المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقِي اكثر ضياع جند الاردن فيما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على جبل يشرف على هذه البحيرة · فهذا النهر اعني الاردن الكبير بينهُ وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب وفي وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلها السكر ومنها يحمل الى سائر بلاد الشرق · وعليهِ قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك · وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهرًا واحدًا فيسقي ضياع الغور وضياع البثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي · وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة جدَرَ وكورة صَفّورية وكورة صور وكورة عكّا وغير ذلك اه

وانت ترى ان البلاد التي دعيت بارض الغور وقد يصح بان تسمى بلاد القاع او الغوطة هي الارض الواقعة بين جسر المجامع الى تل الشهاب وهي منخفضة عن سطح البحر من مئة متر الى مئتين ولذلك يُحبَّذ مَنْ لهم الفضل في التوفر على مد الخطوط الحديدية في تلك الكورة رغم فساد الهواء وحزونة هذه الارض وان لم تكن مساحتها طويلة كثيرًا · والناظر في المصوَّر المنشور آنفًا يرى ان السكة الحجازية بعيدة عن ساحل البحر الاحمر وانهُ كان الاولى ان تتصل السكة بالبحر الاحمر كما اتصلت بالبحر الابيض ويقال انهُ ستمد ناشطة او شعبة من معان الى خليج العقبة وهي لا تتجاوز مئة كيلو متر يبدأُ بها بعد انجاز خط حيفا · والشائع ان كتائب الجند المرابطة في المدينة منذ مدة وعددها تسع كتائب ستسخر بعضها للعمل في الخط من مدينة الرسول على ما بينها وبين جونها وهي ينبع من البعد (مائتا كيلو) · وارتأى بعض المنتسبين لهذه الادارة ان البداءة من جدة الى مكة تزيد السرعة في العمل فان طولهُ لا يتجاوز خمسة وسبعين كيلو مترًا ويمكن تمديدهُ في سنة وتستحصل نفقاتهُ في سنتين او ثلاث من اجور النقل ويسهل تمديد الخط اكثر من سهولتهِ من جهة الشام لوجود جدة على الساحل وبهذا الفرع تكون قد مُدّت اهم ناشطة للخط العام · ويقول العارفون انهُ اذا بدئ بالخط من المدينة كما هو الآن في حكم المقرر تصرف الدولة بدل القرش الواحد قرشين ونصفًا

هذا ويرجى ان تدفع رواتب السرايا العاملة من الجند في اوقاتها على نحو ما تصرف الاعطيات لهم ولعلهُ لا تغمط حقوق المهندسين العثمانيين على ما عرف من اقتدارهم وغيرتهم

فيكون حظهم من الرواتب حظ الاجانب منها فليس من العدل ان ينال غير الوطني ثلاثة اضعاف راتب العثماني مع انهُ كما اكد غير واحد ليس دونهُ في الاجتهاد والمعرفة والاقربون اولى بالمعروف . ومما ينبغي احلالهُ محل النظر تنظيم حالة الجنود العاملين في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومساكنهم حتى لا تكون البادية مقبرة لهم كما كانت في السنتين الماضيتين وقد هلك مئات منهم لقلة الوقاية وعدم العناية . قال بعضهم وليس لهذا النقص من سبب وفي مخازن الاستانة ومستودعاتها الكثير من حاجياتهم كما ان الاوامر قاضية بان تدر عليهم المشاهرات الاصلية فاخذت تصرف في نقل المؤونة لهم التي لم يخصص لها ما يقوم بها . والحاجة ماسة ايضاً الى اقامة مستشفى نقال يمرض فيهِ العاملون في الخط ويقال انهُ سيقام مستشفى في معان وعساهُ يقام مستحم او حمام للعاملين . فخليق بمن يعمل في التراب والشمس الساعات الطويلة ان يستحم مرتين في الاسبوع . ولو أُعفيت لجنة دمشق من مراجعة لجنة الاستانة في كل عمل تريدهُ مما يؤدي الى تطويل احياناً يجلب بعض خلل اذاً لزادت السرعة في العمل

والغالب ان الدولة بعد انجاز السكة الحديدية ستسلمها الى شركة تجارية من حيفا فدرعا فمعان ومن دمشق الى معان وتبقي ما وراء ذلك من الخط الى مكة على نفقتها يدار بايدي عمالها وموظفيها كما جرت في خط حيدر باشا وازميد في الاناضول فانها لما استثمرتهُ على نفقتها خسرت ولما سلمتهُ لشركة حصرت نفقاتهِ ووارداتهِ أخذ الربح ينهال انهيالاً . هذا والناس في اكثر مدن سورية يستبشرون خيراً بارتباط اكثر مدنهم بعضها ببعض وخصوصاً البلاد الساحلية بالداخلية فدمشق متصلة ببيروت فحلب فالاناضول فالاستانة فيافا الى آخرهِ ويؤمل بعض اهل النظر ان يركب الحاج بعد بضع سنين من الروم ايلي اي من تركيا اوربا القطار الحديدي فيمر بآسيا الصغرى فالحجاز لا يركب البحر اصلاً . وعسى ان تتم هذه الاماني كلها باتصال حاضرة سورية بحاضرة الحجاز او شمالي جزيرة العرب بجنوبيها او بلاد وصفها القرآن بانها « وادٍ غير ذي زرع » ببلاد جاء في التوراة انها « تفيض لبناً وعسلاً » والله اعلم بما كان وما سيكون

محمد كرد علي

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل السادس والعشرون في الشركة

تعقد الشركة عادةً اما على جميع الاموال(١) واما على عمل او مشروعٍ واحدٍ

(١) ان لم يقع اتفاق على تقسيم الربح او الخسارة فالشركاء على السواء وان عيّن لكلٍ نصيب قُسم الربح او الخسارة على حسب التعيين الذي جرى الاتفاق عليهِ

(٢) يجوز بلا نزاع ان تُعقد الشركة على ان احد الشريكين يضع مالاً دون الآخر وان يكون الربح مع ذلك مشتركاً بينهما . ويجوز ايضاً ان تُعقد الشركة على ان احد الشريكين يأخذ جزءًا من الربح ولا يُطالب بالخسارة . ويراد بالربح ما يبقى بعد النفقات والكُلف

(٣) من المعلوم انهُ اذا كانت الحصَّة معينَّةً في احدى حالتي الربح او الخسارة ومهملةً في حالةٍ أُخرى فالحالة المهملة تُقاس بالحالة المعيَّنة(٢)

(٤) تبقى الشركة ما بقي الشركاء على النية التي بها عقدوا الشركة . مع ذلك اذا انكر احدٌ بغشٍ ومخادعةٍ الشركة ليستبد بالربح الحاصل يُجبر على جعل الربح مشتركاً لكنهُ اذا ربح من وجهٍ آخر فذلك الربح لهُ وحدهُ

(٥) تنفسخ الشركة بموت احد الشركاء . واذا كانت الشركة معقودة بارادة اكثر الشركاء فموت احدهم يفسخها حتى ولو كان الباقون اكثر اللهمَّ ما لم يكن قد وقع العقد على وجهٍ آخر(٣)

(٦) متى انعقدت الشركة على مشروع بعينهِ فمتى انتهى المشروع انتهت الشركة

---

(١) في الفقه الاسلامي الشركة اختصاص اثنين او اكثر بمحلّ واحد وهي اما شركة املاك واما شركة عقود وهذه على اربعة أوجه مفاوضة وعنان وشركة وجوه وشركة صنائع . وشركة المفاوضة ان يشترك الرجلان ويستويا في مالهما وتصرُّفهما ودينهما وهذه تقابل الشركة في جميع الاموال عند الرومانيين

(٢) ان هذا موافق لما قال الفقهاء من حمل المطلق على المقيد (الدر المختار)

(٣) وفي الفقه الاسلامي « اذا مات احد الشريكين او جنّ جنونًا مطبقًا تنفسخ الشركة لكن في صورة كون الشركاء ثلاثة او اكثر تنفسخ الشركة في حقّ الميت او المجنون وحدهُ وتبقى بين الآخرين . وتنفسخ الشركة بفسخ احد الشريكين لكن علم الآخر بفسخهِ شرطٌ فلا تنفسخ الشركة ما لم يكن فسخ احدهما معلومًا للآخر (المجلة)

(٧) من البيّن ان الشركة تنفسخ حين تستصفى اموالها كلها (١) (اي حين تُضبط)

(٨) اذا ركبت الديون احد الشركاء وسلَّم موجوداتهِ تنفسخ الشركة

(٩) الشريك مسؤُول لشريكهِ (٢) عن اعمالهِ ولو بعلة الخطاء وعلى الشريك ان يُعنى ويهتمَّ باشغال الشركة مثل ما يُعنى ويهتمُّ عادةً باشغالهِ الخاصة

الفصل السابع والعشرون في الوكالة

(١و٢و٣و٤و٥و٦) الوكالة تنعقد على خمسة اوجه · الوجه الاول لأَجل العاقد فقط · والثاني لأَجل العاقد ولأَجلك · والثالث لأَجل ثالث فقط · والرابع لأَجل العاقد ولأَجل ثالث · والخامس لأَجلك ولأَجل ثالث · فان كانت لاجلك فقط فالوكالة كلا وكالة وهي بان تكون مشورةً احرى من ان تكون وكالةً · هذا ولا يترتب عليهِ التزام · من يأْمرك ان تقرض زيدًا مالاً فهو مسؤُول او ملتزم بهذه الوكالة . وذلك انك لم تقرض زيداً المال الاَّ على وجه ان يعطيكهُ الآمر

(٧) الوكالة فيما يضادّ الآداب المحمودة غير ملزمةٍ

(٨) لا يحقُّ للوكيل ان يتخطى حدود الوكالة(٣)

(٩) تبطل الوكالة اذا ردَّها الوكيل قبل ان يباشر شيئًا من اعمال الوكالة

(١٠) اذا توفي الموكّل او الوكيل والوكالة بحالها انفسخت الوكالة (٤) ولكن اذا انفذت الوكالة والموكّل قد مات وانت لم تعلم بموتهِ جاز لك التصرُّف بنص الوكالة

(١١) قبول الوكالة وردها اختياريٌّ . فان قبلها التزم ان يقوم بها . والاَّ ردها اسرع

---

(١) وفي شرح القدوري « اذا هلك مال الشركة جميعهُ او احد المالين قبل ان يشتريا شيئًا بطلت الشركة لأَنها تعينت بهذين المالين · فاذا هلكا مات المحلّ وفي هلاك احدهما بطل في الهالك لعدمهِ لأَن صاحبهُ لم يرضَ ان يعطيهُ شيئًا من ربح مالهِ · وان اشترى احدهما بمالهِ وهلك بعد مال الآخر فالمشترى بينهما على ما شرطا لأَن الملك حين وقع وقع مشتركًا بينهما لقيام الشركة وقت الشراء فلا يتغير الحكم بهلاك المال الآخر بعد ذلك »

(٢) الشريكان كل واحد منهما أَمين الآخر · مال الشركة في يد كلّ منهما في حكم الوديعة فاذا تلف مال الشركة في يد واحدٍ منهما بلا تعدٍّ ولا تقصير فلا يكون ضامنًا حصة شريكهِ (المجلة المادة ١٣٥٠)

(٣) هذا مطابق لما جاء في الفقه الاسلامي قال في المجلة في (المادّة ١٤٧٩) اذا قيدت الوكالة بقيدٍ فليس للوكيل مخالفتهُ

(٤) ومثلهُ ما جاء في المادّة ١٥٢٧ من المجلة ينعزل الوكيل بوفاة الموكل · ولكن اذا تعلق بهِ حق الغير لا ينعزل وفي المادة ١٥٣٠ تبطل الوكالة بجنون الوكيل او الموكل

ما يمكن ما لم تعارضهُ اسبابٌ قانونية تحول بينهُ وبين المبادرة الى ردها [١]

(١٢) يصحُّ ان تنعقد الوكالة مؤجلةً الى أَجلٍ ما ويصحُّ ان تنعقد معلقةً بشرطٍ [٢]

(١٣) اعلم ان الوكالة ان لم تكن مجانيةً تحوَّلت عقدًا آخر والمكافأة الموعودة تجعلها إجارةً

الفصل الثامن والعشرون في العهود المبنية على شبه العقد

لننظر في انواع العهود المبنية على شبه العقد

(١) اذا ادار زيدٌ أُشغال غائبٍ صار بينهما اعمال متبادلة تُسمَّى الاعمال التجارية فلمالك الشيء حقٌّ اقامة الدعوى على ذلك الذي تصرَّف في اشيائهِ ولمدير الاشغال ان يدَّعي على المالك وكلتا الدعويين تحصل بدون وكالة . وذلك متى تقدَّم الواحد ليدير اشغال الآخر . وكما ان من يدير ادارةً صالحةً لهُ حقٌّ على من كان يدير لاجلهم كذلك عليهِ ان يقدّم حسابًا عن تصرُّفهِ وادارتهِ . وعليهِ ان يبذل غاية التحوُّط في ادارة اشغالهم

(٢) الاوصياءُ مسؤُولون عن اعمال الوصاية . وذلك بشبه العقد . وفي هذه الحال الدعاوي متبادلة (اي لكل من الاوصياء والقاصرين ان يدَّعي بعضهم على بعض) [١]

(٣) متى كان شيءٌ بدون عقد شركةٍ مشتركًا بين عدَّة مُلاَّكٍ فكل من هؤُلاء الملاَّك مسؤُول عند الآخر بسبب هذا الشيء تبعًا للتقسيم العموميّ لانهُ احرز وحدهُ ثمار الشيء او لأَن شريكهُ في الملك أَنفق وحدهُ النفقات اللازمة لهذا الشيء نفسهِ فهو مطالبٌ بذلك

---

(١) وفي المجلة «اذا عزل الوكيل نفسهُ يلزم عليهِ ان يعلم الموكل بعزلهِ . وتبقى الوكالة في عهدتهِ الى ان يعلم الموكل عزلهُ (المادة ١٥١٠)

(٢) كذا في الفقه الاسلاميّ . فاذا وكل زيدًا واستثنى اقرارهُ عليهِ جاز الاستثناء ومن ثمَّ فلا يصحُّ اقرار الوكيل على الموكل في هذه الصورة . ولو قال وكلتك ان تبيع دوابي في شهر نيسان وقبل الوكيل ذلك يكون وكيلاً بحلول الشهر المذكور . واما قبل حلولهِ فليس لهُ ان يبيع . ولو قال وكلتك ان تبيع ساعتي هذه بالف قرشٍ تكون وكالة الوكيل مقيدةً بعدم البيع باقلّ من الف قرش (المجلة في باب الوكالة)

(٣) هذا موافق لما في الفقه الاسلاميّ وفي الاشباه « يقبل قول الوصيّ فيما يدَّعيهِ بلا بينة الاَّ في ثنتي عشرة مسئلة . ادَّعى قضاء دين الميت او ادَّعى قضاءهُ من مالهِ او ان اليتيم استهلك مالاً آخر فدفع ضمانهُ او أَذن لهُ بتجارةٍ فركبهُ دبونٌ فقضاها عنهُ . او أَدَّى خراج ارضهِ في وقت لا يصلح للزراعة او جعل عبدهِ الآبق او فداء عبدهِ الجاني او الانفاق على محرمهِ او على رفيقهِ الذين ماتوا او الانفاق عليهِ مما في ذمتهِ وكذا من مال نفسهِ حال غيبة مالهِ واراد الرجوع او اتجر فربح ثمَّ ادَّعى انهُ كان مضاربًا فلا يكون لهُ في الربح شيءٌ الاَّ ان يشهد عند التصرُّف انهُ يتصرَّف فيهِ بالمضاربة . والأَصل ان كلَّ شيءٍ كان الوصيّ مسلطًا عليهِ فانهُ يصدَّق فيهِ بيمينهِ اذا لم يكذبهُ الظاهر واما ما لا يكون مسلطًا عليهِ فلا يصدَّق فيهِ . اه بتصرُّف

بشبه العقد (١)

(٤) والأمر كذلك في حقّ من هو مسؤُول لشريكهِ في الارث من اجل هذه الاسباب نفسها وذلك جريًا على سنَّة تقسيم الميراث العائلي

(٥) الوارث يُعتبر مسؤُولاً بشبهِ العقد عن الشيء الموصى بهِ

(٦) كذلك من يؤدَّى لهُ خطأً ما ليس لهُ يصبح مديونًا بشبهِ العقد

(٧) ان القدماء قرَّروا انهُ في الدعاوي التي يعظم فيها الذنب بعلَّة الانكار لايجوز ان يعاد ما كان قد دُفِع بدون وجوب ولا استحقاق واما قانوننا فقد قطع كذلك فيما يتعلَّق بالوصايا فقط والودائع المتروكة للاماكن المكرَّمة

الفصل التاسع والعشرون في بأيّ الاشخاص يكون لنا حقُّ الاكتساب

اعلم أنَّا نكسب لانفسنا بانفسنا وبمن هم تحت ولايتنا بحيث ان ما يكسبهُ العبيد يصير ملكاً خالصاً لنا . وما يكسبهُ الاولاد بالعمل تكون غلَّتهُ للاب . وتبقى عينهُ ملكاً للابن . والاب يتصرَّف مع ذلك في الملك ويديره (٢)

(١) نكسب لانفسنا بالاحرار وبالعبيد الذين نملكهم بنيةٍ سليمة متى كسبوا شيئًا بعملهم او كسبوهُ باستعمال ما نملكهُ

(٢) نكسب على هذا الوجه نفسهِ بالعبد الذي لنا غلَّتهُ او استعمالهُ

من المقرَّر ان العبد المشترك بين عدة موالٍ يكسب لهم على نسبة حِصَصهم في رقبتهِ الاَّ اذا اشترط او متى قبل بالتسليم لواحدٍ منهم باسمهِ لانهُ حينئذٍ يكسب لهذا وحدهُ . واذا اشترط العبد بامر احد اسيادهِ فانما كسبهُ لمن امرهُ بذلك منهم

الفصل الثلاثون في بأيّ وجهٍ يزول الالتزام ويبطل العهد

يزول العهد ويبطل الالتزام بوفاء ما يجب وفاؤُهُ وردّ ما يجب ردُّهُ . او متى ردَّ المديون شيئًا مكان آخر برضا الدائن . ولا فرق فيمن يفي فان وفى المديون الاصليّ برئَ الكفلاء

---

(١) الملك المشترك متى احتاج الى التعمير والترميم يعمرهُ اصحابهُ بالاشتراك على مقدار حِصصهم . اذا عمر احد الشريكين الملك المشترك باذن الآخر وصرف من مالهِ قدرًا معروفًا فلهُ الرجوع بحصة شريكهِ واذا عمر بدون اذن من الشريك او من الحاكم يكون متبرعًا يعني ليس لهُ ان يرجع على شريكهِ بمقدار ما اصاب حصتهُ من المصرف سواء كان ذلك الملك المشترك قابل القسمة او لم يكن (المجلة)

(٢) لاخلاف في هذا بين الفقهين الاَّ فيما يكسبهُ الابن ففي الفقه الاسلامي ما يملكهُ الابن بمالهِ فلهُ عينهُ وغلتهُ

وان وفى الكفيل برئ الاصيل (١)

(١) ان العهد يزول بالتراضي. وهو وفاءٌ وهميٌّ وهو لا يبرئ الاَّ من العهود المنعقدة بالقول دون غيرها على ان العهد او الالتزام المتكوّن بسببٍ آخر يتحوَّل شرطاً و يبطل بالوفاء الوهميّ

(٢) اذا دخل شرطٌ في عهدٍ ما يجوز ان ينقلب العهد عهدًا قوليًا وان يبطل بالتراضي

(٣) زد على ذلك ان الالتزام يبطل بتغيير العهد ولا جرم ان تداخل مديون جديد يوجد التزاماً جديدًا . والتزام العهد الاول ينتقل الى الثاني فيزول ولو كان العهد الثاني عهدًا باطلاً . متى تعهّد عن عبدٍ فالملتزم الاول يستمرُّ ابدًاملتزمًا على هذا الوجه عينهِ. واذا تعهدت عن الشخص الذي كان ملتزماً لك فتغيير العهد لا يتم الاَّ اذا دخل شيٌ جديد في العهد الثاني . وذلك كأَن يضاف او يُسقط عهد او مهلة او كفيل . واما قانوننا فقد صرَّح ان تغيير عهدٍ سابق لا يقع الاَّ بقدر ما يوضحهُ المتعاقدان

(٤) العهود المنعقدة بالتراضي تنحلُّ بالتراضي (٢)

الكتاب الرابع

الفصل الاوَّل في تبعات الجناية

بقي علينا ان ننظر في تبعات الجناية وشبه الجناية — كل ما يتأَتَّى عن الجناية مثل السرقة والاختلاس والضرر والاعتداء

(١) السرقة اخذ الشيءِ نفسهِ بالخداع او استعمالهُ فقط او وضع اليد عليهِ بقصد الانتفاع بهِ

(٢ و ٣) السرقة ضربان صريحة ومستترة فالسارق الصريح هو الذي يؤْخذ حال مباشرة

---

(١) لا جرم ان هذا منطبق كل الانطباق على احكام الفقه الاسلامي. لكن في شريعة موسى تبرأُ ذمة المديون العبرانيّ اذا جاءَت السنة السابعة سنة الابراء وان لم يفِ ما عليهِ لما جاءَ في الآيتين ٢ و ٣ من الفصل ١٥ من سفر تثنية الاشتراع . كلُّ صاحب دينٍ فليبرئْ صاحبهُ مما اقرضهُ لا يطالب صاحبهُ ولا اخاهُ اما الاجنبيُّ فطالبهُ

(٢) وذلك كالبيع والاجارة والوكالة والشركة فاذا اتفق المتبايعان على فسخ البيع انفسخ . وفسخ البيع على هذا الوجه يسمى عند الفقهاء اقالةَ الاَّ ان الاقالة لا تصحّ ما لم يكن المبيع قائمًا او موجودًا في يد المشتري وقت الاقالة فان كان المبيع قد تلف فلا تصحُّ الإقالة . وكذا اذا اتفق المؤجر والمستأجر على حلّ عقد الاجارة او الوكيل والموكل علي فسخ عقد الوكالة او الشريكان على ابطال الشركة فتصبح كل هذه العقود باطلةَ وهذا ما لا يختلف فيهِ الفقه الروماني عن الفقه الاسلاميّ

السرقة والذي يُقبَض عليهِ في مكان ارتكاب السرقة ومن وهو لم يزل قابضاً الشيء ينظر او يقبض عليهِ من المالك او من ايٍّ كان قبل ان يصل الى حيث يقصد ان يحملهُ او يودعهُ. والسرقة التي لا تظهر سرقة مستترة

(٤ و٥) عقوبة السرقة الصريحة هي ان يُرَدَّ اربعة امثال المسروق وعقوبة السرقة المستترة ان يرَدَّ مثلا المسروق (١)

(٦) السرقة ترتكب متى أُخذ مال الغير بدون ارادة مالكهِ

(٧و٨) قد تقرَّر ان من يتصرَّف في المستعار غير التصرُّف المعيَّن عند الاستعارة يرتكب السرقة ولكن بشرط ان يعلم المستعير أَنَّ تصرُّفهُ ذلك مخالف لارادة المالك وانهُ لو علم المالك بذلك لما كان يأذن فيهِ . كما انهُ لا توجد سرقة اذا لم تقصد السرقة فمن يستعمل العاريَّة استعمالاً مضاداً لارادة المالك والمالك مع ذلك لا يرفض هذا الاستعمال فقد تقرَّر ان ذلك ليس بسرقة

(٩) يُسرَق احياناً من ابناء الاحرار

(١٠) كذلك قد يسرق المرء شيئهُ المختصَّ بهِ

(١١) من يُشِر بالسرقة ويُعِن على ارتكابها يؤَاخذ بها . واذا سهل امرؤٌ ارتكاب سرقة بدون قصد يكون مسؤُولاً في ذلك فعلاً . واما من ليس لهُ في ارتكاب السرقة الاَّ الحث عليها والتجرئة على اتيانها فلا يؤَاخذ بها

(١٢) من يختلس من أُصولهِ (كأَبيهِ وجدهِ) ومن مواليهِ شيئاً فقد ارتكب السرقة لكن لا يترتب على ذلك دعوى السرقة حيث لا يجوز ان تقام بينهم دعوى ولا بعلة من العلل (٢)

---

(١) ان الفقه الاسلامي لم يذكر للسرقة هذا التقسيم ولارتب عليها مثل هذه العقوبة قال في شرح القدوري « اذا سرق البالغ العاقل الناطق البصير ما قيمتهُ عشرة دراهم مضروبة او غير مضروبة من حِرْز (وهو ما يمنع وصول يد الغير سواء كان بناء او حافظاً) ، لا شبهة فيهِ ولا تأْويل بمرَّةٍ واحدة اتحد المالك ام تعدَّد وجب عليهِ القطع » والقطع منصوص عليهِ في القرآن قال والسارق والسارقة فاقطعوا أَيديهما . واذا قطع السارق والعين قائمة في يدهِ ردَّها على مالكها لبقائها على ملكهِ وان كانت هالكةً لم يضمن . وعقوبة السارق في شريعة موسى والغاصب وجاحد الوديعة والامانة والضالة ان يردَّ الشيء بعينهِ ويزيد عليهِ خمسهُ ويعطيهُ للذي هو لهُ (سفر الاحبار الفصل ٦ والآية ٤ و ٥)

(٢) هذا يشبه قول الفقهاء « ومن سرق من ابويهِ او ولدهِ او ذي رحم محرم منهُ لم يقطع وكذلك اذا سرق احد الزوجين من الآخر او العبد من سيدهِ او من امرأَة سيدهِ او من زوج سيدتهِ » (شرح القدوري)

(١٣) حق اقامة دعوى السرقة لمن لهُ الانتفاع من حفظ المسروق ولو لم يكن مالكه[(١)]

(١٤) من ثم ينتج ان للدائن حقًا ثابتًا على اقامة دعوى السرقة عند سلب الرهن ولو كان الغريم قادرًا على الوفاء

(١٥) اذا سرقت الثياب المسلمة للقصار لكي يبيضها او يحفظها او للخياط لكي يرفأها بأُجرةٍ مسماة فاقامة دعوى السرقة للقصار او الخياط لا للمالك اذ لا نفع لهُ بذلك فلهُ ان يطالب باسترداد شيئهِ بدعوى الاجارة . وقد تقرَّر ان الذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة هو القصار او الخياط ان ضليعين بالوفاء . والاَّ فالذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة انما هو المالك نفسهُ لان النفع انما هو لهُ [(٢)]

(١٦) ما قد قيل في القصار والخياط كان القدماء يرون ان من الواجب ان يقال في المستعير غير أنَّا تحرُّزًا وتحوُّطًا قد اصلحنا هذه المادة وخيرنا المالك المعير بين اقامة دعوى العاريَّة على المستعير وبين اقامة دعوى السرقة على السارق لكنهُ عقب ان يختار احد الامرين فليس لهُ ان ينتقل من دعوى جنائية الى أُخرى [(٣)]

(١٧) ليس الوديع بضامنٍ للوديعة لكنهُ يضمن مايقع من الضرر بتقصيرهِ وتعديهِ

(١٨) ان غير البالغ يحكم عليهِ بالعقوبة اذا ارتكب الجرم بفهمٍ

(١٩) ان دعوى السرقة تنحصر في طلب العقوبة . واما المالك فلهُ فوق ذلك المطالبة بالشيء المسروق واسترداده[(٤)]

الفصل الثاني في الاشياء المغصوبة

من يغصب مال احد[(٥)] تقم عليهِ دعوى السرقة على ان القاضي يوجد دعوى خاصة يقال لها دعوى الغصب نسبةً الى هذا الجرم وهو غصب المسروق . وتعطى اربعة امثال المغصوب

---

(١) هذا موافق لما جاء في المجلة ونصهُ « اذا غصب الوديعة او المستعار او المأجور او المرهون فللوديع والمستعير والمستأجر والمرتهن أَن يدَّعي بأُولئك على الغاصب فقط ولا يلزم حضور المالك وليس للمالك ان يدَّعي وحدهُ بأُولئك ما لم يحضر هؤلاء » (٢) ليس هذا القيد في الفقه الاسلاميّ

(٣) ان قانون يوستنيانوس هذا مخالف لما في الفقه الاسلامي كما رأَيت فيما علقتهُ على المادة (١٣)

(٤) هذا الحكم ايضًا مخالف لما ورد في الفقه الاسلاميّ على ما علمت

(٥) الغصب شرعًا ازالة يدٍ محقةٍ بيدٍ مبطلة في مال متقوَّم محترم بغير اذن مالكهِ لا بخفيةٍ فاستخدام العبد وتحميل الدابة غصبٌ

في السنة (١). واذا انقضت السنة يرد المغصوب فقط . وفي اربعة امثال المغصوب تدخل قيمتهُ (اعني يرد المغصوب مع ثلاثة امثالهِ)

(١) لا تقام هذه الدعوى الاَّ عند الغصب او الاخذ بنية رديئة فمن يرى نفسهُ مالكاً لما غصبهُ وهو يعتقد انهُ مأذون للمالك أَن يأخذ ولو غصباً شيئهُ من الواضع يدهُ عليهِ يجب ان يغتفر لهُ . مع ذلك مقرَّرٌ انهُ لا يؤْذن لاحدٍ ان يغصب حتى ولا الشيء الذي يظنهُ لهُ . فان خالف هذه القاعدة يفقد ملكية شيئهِ الذي انتزع غصباً ممن هو في يدهِ . وان لم يكن الشيء المغصوب لهُ فعليهِ عقب ردهِ تأدية قيمتهِ بحسب تثمينهِ

(٢) تقع هذه الدعوى سواءٌ كان الشيء جزءًا من الاملاك اولم يكن لكن يشترط ان تكون لهُ علاقة بالاملاك . ولا بدَّ ان نقول ان عامة الاحوال التي يختفي فيها اختلاس الشيء تُعطي سبيلاً لدعوى السرقة وتقع في هذه الاحوال نفسها الدعوى التي سبق لنا الكلام فيها

الفصل الثالث في شريعة اكويليا (٢)

ان دعوى الضرر المسببة عن التعدِّي مقرَّرة في الباب الاول من شريعة اكويليا وهذا نصُّ ماهنالك " ان احدٌ قتل تعدِّياً عبد الغير او دابتهُ يحكم عليهِ ان يؤَدي لمولى العبد وصاحب الدابة اغلى قيمةٍ كانت لهما تلك السنة (٣) »

(١ و٢) يُعد قاتلاً من يقتل من دون حقٍ . من يقتل لصًّا وقد سُدَّ عليهِ باب التخلُّص

---

(١) في الفقه الاسلامي يجب على الغاصب ردّ عين المغصوب في مكان غصبهِ لتفاوت القيم باختلاف الاماكن أَو ردّ مثلهِ ان هلك وهو مثليٌّ . وان انقطع المثل فقيمتهُ يوم الخصومة اي وقت القضاء وعند ابي يوسف يوم الغصب وعند محمد يوم الانقطاع وقد عوَّلت المجلة على قول ابي يوسف وتجب القيمة في القيميّ يوم غصبهِ اجماعًا وفي المجلة « ان صادف صاحب المال الغاصب في بلدةٍ أُخرى وكان المال المغصوب معهُ فان شاء صاحبهُ استردّهُ هناك . وان طلب ردّهُ في مكان الغصب فمصاريف نقليتهِ ومؤْنة ردّهِ على الغاصب »

(٢) كان سنة ٦٦ قبل الميلاد واشتهر بفصاحتهِ القضائية و بعلم الفقه وهو صفيُّ شيشرون وخرّيج مدرسة سبوس سيفولا

(٣) هذا موافق لمذهب الشافعي فعندهُ لا يقتل الحرُّ بالعبد ومخالف لمذهب ابي حنيفة قال في الدرّ المختار « فيقتل الحرُّ بالحرّ و بالعبد » وفي ردّ المحتار « ولنا اطلاق قولهِ تعالى ان النفس بالنفس فانهُ ناسخ لقولهِ تعالى « الحرُّ بالحرّ » » وقد جرى ابو الفتح البستي على مذهب الشافعي فقال

خذوا بدمي هذا الغزال فانهُ رماني بسهمي مقلتيهِ على عمدِ
ولا تقتلوهُ انني انا عبدهُ ولم أَرَ حرًّا قطُّ يقتل بالعبدِ

فردَّ عليهِ بعض الحنفية بقولهِ

خذوا بدمي من رام قتلي بلحظهِ ولم يخشَ بطشَ الله في قاتلِ العمدِ
وقودوا بهِ جبرًا وان كنتُ عبدهُ ليعلمَ أَنَّ الحرَّ يقتلُ بالعبدِ

منهُ فدم اللصّ هدرٌ [١]

(٣) لا يؤاخذ من يقتل عرضاً ان لم يقع ذلك بتقصيرٍ من جهتهِ [٢]

(٤) وبناءً عليهِ فان قتل من يلعب او يتمرَّن برمي السهام عبداً وهو مارٌّ فان كان هذا الحادث صادراً من جنديٍّ في المكان الذي اعتيد فيهِ التمرُّن على الرماية فمقرَّرٌ انهُ لا جرم عليهِ . وان حدث مثل هذا الحادث من رجلٍ ليس بجنديٍّ يؤاخذ بجنايتهِ

(٥) متى قتل الحطّاب عبداً عابر طريق بسقوط فرع من الشجرة فان وقع هذا الحادث على طرف الطريق والحطّاب لم يصح لينبه كان مستوجباً العقاب لتقصيرهِ (ستأتي البقية)

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

بورت آرثر والحرب الحاضرة

سيديَّ الفاضلين

عثرت في الجزء التاسع من مقتطفكما الاغر على مقالة ضافية في " بورت آرثر والحرب الحاضرة " لجناب م . ع . ج كشف بها القناع عن كثير من الحقائق المتعلّقة بالشرق

---

(١) وكذا في الفقه الاسلامي . قال في الخانية « رأى رجلاً يسرق مالهُ فصاح بهِ ولم يهرب . او رأى رجلاً يثقب حائطهُ او حائط غيرهِ وهو معروف بالسرقة فصاح بهِ ولم يهرب حلَّ لهُ قتلهُ ولا قصاص عليهِ » وفي الحاشية عن البحر « استقبلهُ اللصوص ومعهُ مالٌ لا يساوي عشرةً حلَّ لهُ ان يقاتلهم لقولهِ (ص) قاتل دون مالك . واسم المال يقع على القليل والكثير »

(٢) وموجب هذا في الفقه الاسلاميّ الكفارة والدية على العاقلة وفي الدرّ المختار « والثالث خطا وهو نوعان اما خطأٌ في ظنّ الفاعل كأَن يرمي شخصاً ظنهُ صيداً او خطا في نفس الفعل كأَن يرمي غرضاً او صيداً فاصاب آدمياً أو رمى غرضاً فاصابهُ ثم رجع عنهُ او تجاوز عنهُ الى ما وراءهُ فاصاب رجلاً او قصد رجلاً فأَصاب غيرهُ » . واما عند اليهود فيهرب الى احدى مدن الملجاءِ كما في الفصل ٤ من سفر التثنية

الاقصى ونسبتهِ الى اوربا. وقد ذكر في عرض الكلام انتباه اليابانيين من غفلتهم الشرقية حتى بلغوا منزلة ارقى الدول قوةً ومنعةً راجع صفحة ٧٦٥ . على انهُ لوى عنان البحث الى التقريع بهم لانهم اقتحموا حرب الروس وحكم عليهم بالجهل والطيش والانخداع والبطر والتهور محمولين برياح الاهواء البريطانية حاسباً ان البريطانيين حملوهم على كره الروس كرهاً شديداً ودفعوهم الى حرب وبيلة العاقبة . ومواقع النظر في هذه المقالة عديدة منها

اولاً انكارهُ على الانكليز الاعجاب باليابان مع ان ذلك لم ينحصر في الانكليز بل يشاركهم فيهِ جميع الامم الراقية ومنهم الاميركان والفرنسيس والالمان

وثانياً ايماؤُهُ الى ان الامة الانكليزية اجمع قصدت التغرير بالامة اليابانية حتى لم يتمالك اللورد سالسبري مجاراة لامتهِ ان كتب يمدح جنودهم . وهذا الفكر من اغرب صور الخيال ان امة برمتها اجمعت على خداع امة ناهضة حديثاً وتطويحها في مغامر التهلكة . وقد نسي ان في الامة الانكليزية الوفاً من افاضل الانقياء ينكرون الحرب ويحرمون الاشتراك فيها وفي كل مداخلة سياسية . هذا عدا ما نعلمهُ عن الامة الانكليزية انها الاولى في حب الخير وخدمة الانسانية في امم الارض . ومن الامور المستحقة الالتفات انهُ جعل مدير دفة سياستها منقاداً لاميال امتهِ لا ان الامة محمولة بغرض سياستها فتأمل

وثالثاً ان الامة اليابانية انطلت عليها حيلة الانكليز فحملت كتابات الانكليز في قوة اليابان ومنعتها محمل الحقيقة والصحة فتوهمت بنفسها خلاف الواقع . وهذا من الغرابة بمكان وهو يماثل اغترار رجل فقير لا يملك شروى نقير بكتابة رجل آخر عنهُ انهُ غنيٌّ فوهم في نفسهِ الغنى وهبَّ لمناضلة اغنياء زمانهِ مخدوعاً بما كتب فيهِ . فتأمل الصورة التي صوَّر فيها الامة اليابانية . فلو فرضنا ان رجلاً سخيف العقل خدع بكتابة كاذبة فيهِ افيمكن انطلاءُ الخديعة على الامة باسرها وهي مؤَلفة من خمسين مليون نفس وفيهم الساسة والكتاب والمخترعون والمؤَلفون وارباب النقد والتبصُّر الذين تبرهنت اهليتهم وكفاءتهم في كل مواضيع البحث والنظر

وقد ثبت بالاختبار ان اكابر الهيئة الاجتماعية صلاحاً وفضلاً هم المحسنون ظناً في الآخرين وان اكرم الناس يرون على الدوام الجانب الصالح من غيرهم . وان المدح على الاحسان خير من الذم على الاساءة لانهُ يحمل على كثرة الصلاح من اسهل الطرق . وهذا اساس مدح اللورد سالسبوري لجنود اليابان في حرب الصين سنة ١٩٠٠ فانهُ بمدحهم يحمل غيرهم على التمثل بهم فترتقي آداب الجندية . وذلك من المقاصد التي يليق نسبتها للورد سالسبوري . واني لا اقول بعصمة رجال السياسة والادب ولكني لا أرى سبباً كافياً لاتهام اللورد سالسبوري

والمستر ستد ومؤلفي الاسكلوبيذيا البريطانية وبقية الخطباء والوعاظ والادباء من امة الانكليز بقصد خداع اليابان والتغرير بهم . ولو فرض ان النتيجة كانت كما زعم جنابهُ لكانت غير مقصودة من اولئك . لان التصور الذي تضمنتهُ مقالتهُ من المستحيل تحقيقهُ . ولو كان قصد الانكليز كما فسرهُ حضرتهُ لكان اليابان شعروا بهِ واسقطوا اصحابهُ لان صاحب الغرض مهما تلوَّن لا يقدر ان يخفي غرضهُ والهيئة الاجتماعية مطبوعة على اعتبار الخلوص في المقاصد والاقرب لحكم العقل السليم هو ان اللورد سالسبري والمستر ستد ومؤلفي الاسكلوبيذيا البريطانية وغيرهم من كتاب الانكليز وخطبائهم انما تكلموا بخلوص وبساطة في مديحهم اليابان . ولم يقولوا فيهم الاَّ ما رأوهُ واقتنعوا بصحتهِ . وبعيد عن الروية ان كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم مدة ربع قرن كانت متجهة لدفع اليابان الى حرب الروس

اما الحكم الذي ابرمهُ حضرتهُ على الامة اليابانية في حربها مع الروس وانها سعت الى حتفها بظلفها وان حداثة عهدها في النعمة والقوَّة ابطرتها وحملتها على التهور وخسارة نعمتها وقوتها الخ . فاقل ما يقال فيهِ انهُ مبتسر اعني ان جناب الكاتب اسرع قليلاً فان رحى المعارك لاتزال دائرة الى الآن فلو صبر الى انجلائها عن دحر اليابان وخذلانهم لكان حكمهُ أمتن واجدر بالقبول . لان "السيف اصدق انباء من الكتب" فهل اليابان مخدوعة من نفسها او من كتاب الانكليز ومدفوعة الى حرب الروس اغترارًا وان ذلك يعود عليها بالدمار ذلك من انباء الغيب يعلنهُ الزمان . فليس علينا الاَّ الانتظار

لاريب في ان دولة الروس من اعظم دول الارض في القوة الحربية بحرية وبرية وان فيها القواد المحنكين والضباط المدربين وهي دولة شريفة يعز عليها الانكسار ولو مهما كلفها الامر . ولا ريب في انها قادرة على تجييش مئات الالوف وارسالها الى اقصى الارض بوجه السرعة وامدادها بالمؤَن والذخائر وهي الدولة التي لم ترجع من ميادين القتال الاَّ ظافرة . وخضوع الامة للقيصر ومحبتها لهُ امر جدير بالاعتبار ويحملنا على الثقة بقوة الحكومة وتمكنها من المثابرة على الحرب الى امدٍ طويل . كل ذلك مقرَّر على اننا لانرى من سداد الرأي والحكمة الجزم بدمار اليابان لان النصر بيد الله يؤتيهِ من يشاء وهو على كل شيء قدير . وعلى فرض ان اليابانيين سحقوا سحقًا ووردوا الحتف في هذه الحرب فقد يكون لومنا اياهم في غير محلهِ اذا كانوا اضطروا للدخول فيها . وعلى كل حال ارى ان جناب الكاتب قد حمل اليابان المساكين مالا طاقة لهم على احتمالهِ . وهم الامة الوحيدة في الشرق التي نهضت من غفلتها حسبما اثبت جنابهُ . فحريٌّ بنا الرفق بها ولا نحسب نهوضها ذنبًا لئلا نثني عزم بقية امم المشرق الغافلة عن التمثل بها . على

انّا من جهة ثانية لا نؤكد الفوز لليابان ولا نسلق الروس السنة حداداً ولا نتهمهم بالانخداع والغرور والتعدي . ومع اننا نرى اندفاق كتائب اليابان في اغوار منشوريا وانجادها ولا اندفاق السيول الجارفة . وقد طموا على روابيها وجبالها . وحلوا قلاعها وحصونها . واصلوا الروسيين ناراً حامية . وقذفوا عليهم سيولاً من الكرات الجهنمية . فزحزحوهم بعد معارك يشيب لها الولدان من شمولبو وبنغ ينغ وينغامبو وانجو وويجو وانتونغ وطاكوشان وشانتونغ وطاليان وان ودالني وكنشو ونتشان ووافنكو وفوشو وسيويان وسيمازي ودالينغ وشيلنغ وكيبنغ وطاكشياو وبن كوف ونيوشوانغ وهايشنغ ولياوينغ عدا الوقائع البحرية التي لم يثبت التاريخ نظيرها فانهم حطموا الاساطيل الروسية وفرقوها ايدي سبا واغرقوها وعظام قوادها في اعماق البحار . وانفردوا في السيادة البحرية في الشرق ولا تزال اعلام النصر خافقة فوق رؤُوسهم برًّا وبحرًا مدة ثمانية اشهر . مع كل ذلك لا نفخر بهم ولا نكفل لهم النصر نهائيًّا ولا ننسب لاعدائهم الطيش والغرور . ومن يعلم ماذا يجيء بهِ الغد . ومن يعلم هل يكون النصر لروسيا او لليابان ومع ان لنا اساساً للظن لكننا لا نرى من باب الحكمة والانصاف ان نجزم بما نظنهُ ونبني عليهِ اللوم والتقريع بدول الارض العظيمة وفيها من الكتاب والادباء وقادة الافكار من لا نشق لهم غباراً . واذا حكمنا بشيء واتت الايام بعكسهِ نضطر الى تغييرهِ بالمٍ وخجل . فلندع اليابان والروس يبرهنون بالفعل مقدرتهم او اغترارهم وبعدها نحكم بما حدث ويكون حكمنا حقًّا لا ريب فيهِ . وقد احسن من قال لا تحكموا في شيء قبل الوقت . وخلاصة ما اقولهُ اني استلفت نظر جنابهِ الى امرين

الاول تأويلهُ كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم تأويلاً يصرفها الى التغرير باليابان ودفعهم الى الدمار فان ذلك يحط من كرامة الانكليز ويسلبهم كل حقيقة ادبية في كتاباتهم . ولا يسلم عقل بذلك

والثاني تشديدهُ النكير على اليابان لانهم تعرضوا لمناوأة الروس بداعي انهم ضعفاء عاجزون عن ذلك وحكمهُ الجازم بخذلانهم قبل الوقت . وفيما سوى ذلك اثني على همتهِ وفضلهِ وأُوافقهُ في كثير من آرائهِ الفنية واهديهِ تحيتي واعتباري والسلام

حمص (باحث)

نفس العين وعين الاثر

قصيدة من نظم الشاعر المطبوع عزتلو فارس بك شقير قائمقام قضاء الكورة في لبنان نظمها تذكارًا للاحتفال باقامة تمثال العلامة الفاضل الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية الانجيلية في بيروت

هل اثرٌ شاد المرءُ من حجرِ   كاثرٍ شاد الفضل من بشرِ
فالنفس والعلم باقيان على   رغم التلاشي في العالم النظري
ليست اساطين بعلبكّ لها   شان الاساطر عن أُلي الأَثرِ
ولا سنى الشمس ضاءَ في قمرٍ   كبارق العلم ضاءَ في فكرِ
ذاك بدا فانتهى الى قدَرٍ   وذاك سارٍ نامٍ مع العُصُرِ
واللاهيولى يسمو بجوهرهِ   عنها اقتفاءً في السير والسِّيَرِ
أَجلْ حياة الارواح سامية   رغم انحطاط الاشباح في صغرِ
والفرق بين المثال من جمدٍ   وما بناهُ التثقيف من نفرِ
كالفرق ما بين العقل منطلقاً   والنقل قيد الحدود والصُوَرِ
لقد بنى دانيال خير بني الا م   وطان خير الآثار والأُثرِ
أَنشا اراكين الفضل ثانيةً   ايات ما انشأُوا يد الغيرِ
من كلّ فردٍ تشقُّ نظرتهُ   حجاب ما الجهل حاك من حبرِ
فمن حكيمٍ شعاعُ حكمتهِ   يكشف ليل الضلال والغُررِ
ومن طبيبٍ تلقى عيادتهُ   عوامل البرء موضع الخطرِ
ومصقعٍ خلتَ فوقَ منبرهِ   سحرًا يريك الكلام من دُرَرِ
وشاعرٍ آخذٍ بلاغتهُ   بما تمنى من كل مبتكرِ
وناثر لم يفق عبارتهُ   الاَّ سموُّ الآيات في سورِ
وراسم رسمهُ الحقيقةُ لو   جاز حلول الارواحَ في صورِ
وحاسب قد وعت بصيرتهُ   ما كان اوعى في الصحف بالبصرِ
وزارعٍ يجعل السباخ على   حالٍ تسوم البذار بالبدرِ
وتاجر حرز مالهِ يدهُ   وفكرهُ حرز المدن والمدرِ
وسائس ساس أُمة بلغت   بهِ من الغايِ كل مفتخرِ

هاتيك آثار دانيال وهل من غرر فوق تلكم الغررِ
ترى رأوا قطعة الرخام كفا لفضل مسعاهُ الباهر الخطرِ
لا بل دروا انهُ استحال فقد مدوا اليهِ بنان معتذرِ
وهو على فضلهِ ومفخرهِ قابلهم بالوقار والخفرِ
اخواننا في الديار ليس لنا عن شكرهِ غير الاقرار بالحصرِ
زحتم غطاء عن الرخام لمن زاح غطا جهل السمع والبصرِ
الراسخ الباذخ المقام اذا عُدَّت مقامات القدرِ والقَدَرِ
العالم العاملُ المزين بهِ حقيقة الخُبْر صادق الخبرَ
أبا هوردٍ لله درّك من شيخ جليل بالحزم مدَّثرِ
يا أسلمْ فان ابنك الكريم يرى آثارك الغرَّ خير مدَّخرِ
هورد يا خير من قفا سلفاً قد فاح طيب ذكرهِ العطرِ
فكن لهُ ابناً وللصفوف ابًا يرعاهم وسع الحرص والسهرِ
منبّهاً من قوى خواطرهم ما يستفكُّ النهى من الأسرِ
وكن لهم مثل من دعاك لهم فعاضهم بالفتا من الكبرِ
حذار شيخوخةٍ تدبُّ الى شباب آداب الانفس النضرِ
وكن كما كان حكمةً ومضاً وعش كما عاش سامي الوطرِ
ولا تقف عند حدّ حالتنا ان القوى ترتقي مع الدهرِ
ولا تشب ما نقولهُ سلفاً قد زيَّنَ الله الغصن بالثمرِ
يا فرع أصلٍ ذكت عناصرهُ من جوهر الناس لا من البحرِ

اول تمثال في حمص

المرحوم الدكتور سليمان الخوري عيسى من رجال سورية النابغين خدم وطنهُ ودولتهُ خدمةً نصوحًا خلدت لهُ الذكر العطر والاحدوثة الطيبة وقد عرف قراءُ المقتطف الكرام شيئًا من ترجمة حياتهِ ومما نشر عنهُ في العدد السادس من السنة الماضية مشفوعًا برسمهِ · وبما ان الامم الراقية في سلَّم الحضارة والتمدن قد اعتادت ان تنصب لرجالها العظماء التماثيل والانصاب برهانًا على اعترافها بجميل اولئك الرجال الافاضل خدَمة الانسانية والوطنية فلم يمضِ على وفاة الفقيد مدة طويلة حتي تحركت عاطفة عرفان الجميل في نفوس بعض الوطنيين الغيورين على

تخليد ذكر المحسنين واقترحوا اقامة تمثال لهُ يشترك فيهِ ابناءُ وطنهم كلهم · غير ان انجال الفقيد مع شكرهم هذه العواطف الشريفة التي اظهرها المواطنون وقدرهم اياها قدرها واعتبارها اعظم مشاركة في آلام مصابهم الفادح واكبر تعزية عنهُ فقد ابوا الاَّ ان يقوموا هم بنفقات هذا الاثر برًّا بوالدهم الذي اورثهم المجد التليد والطريف مكتفين من مواطنيهم بذلك الشعور الشريف وتلك العاطفة المقدسة عاطفة عرفان الجميل

ولما تمَّ صنع التمثال في اشهر معامل ايطاليا ووصل الى حمص تعيَّن يوم الاحد الواقع في ٧ اب (اغسطس) موعدًا للاحتفال برفع الغطاء عنهُ ووُزعتْ رقاع الدعوة على وجهاء المدينة ونبلائها للاشتراك في هذا الاحتفال الوطني الذي لم يسبق لهُ نظير · ولما أُزفت الساعة المعينة من صباح ذلك اليوم تقاطر الناس زرافات ووحدانًا الى كنيسة القديس ايليان للروم الارثوذكس وبعد انتهاء القداس خرجوا الى المدفن المجاور الكنيسة حيث تمثال الفقيد على ضريحهِ. وكان في مقدمة الجمع سيادة الحبر السيد اثناسيوس متروبوليت حمص وما يليها وسائر اكليروسهِ الموقر

فلما وقف سيادتهُ بجانب الضريح ارتجل خطبةً نفيسة بيَّن فيها الغرض من اقامة هذا الاثر وعدَّد بوجيز العبارة خدمات الفقيد ثم أوعز الى حضرة الوجيه حبيب افندي مرهج ان ينوب عنهُ بكشف التمثال ففعل مردّدًا قول المرنم الالهي : الصديق يكون لذكرٍ ابدي. فاذا بهِ تمثال نصفي فائق الاتقان يمثل الفقيد الكريم احسن تمثيل · ثم كلف حضرتهُ جناب الاستاذ حبيب افندي الخوري الانطاكي ان يقرأ بالنيابة عنهُ خطبةً كان قد اعدها لهذا الاحتفال البهيج · وعقبهُ في موقف الخطابة الدكتور كامل افندي لوقا والاستاذ يوسف افندي شاهين وكاتب هذه الرسالة فعدَّدوا صفات الفقيد الحسناء · ثم تقدم حضرة الدكتور كامل افندي الخوري نجل صاحب الاثر وشكر للحاضرين غيرتهم ومؤَاساتهم وانعطافهم واثنى على فضلهم ومعروفهم واختتم كلامهُ بالدعاء لجلالة المتبوع الاعظم

رزق الله نعمة الله عبود

مقام العلم في اميركا

افتتحت مدرسة كولمبيا الجامعة في نيويورك سنتها المئة والحادية والخمسين بمنح رئيس اساقفة كنتربري رندال تومس دافيدسن د.ل رتبة دكتور في الشرائع

شهدت هذه الحفلة ورأيت اهل الدين واهل العلم يضمهم منبر واحد وعليهم الجبب بعصائبها الحريرية الملونة بحسب رتب اصحابها العلمية فكان رئيس الجامعة نكولاس مري بتلر

على كرسي مرتفع وعن يمينهِ رئيس اساقفة كنتربري واسقف نيويورك وعن شمالهِ الدكتور روبرت ودورد ورئيس الجامعة الروحي وخلفهُ بضع مئة من الاساتذة والمعلمين وامامهُ بضعة الوف من التلامذة والزائرين . وافتتحت الحفلة بترنيمة وصلاة ثم رحب الرئيس بالتلامذة وخطب الدكتور ودورد في المرامي المدرسية وبعد هذا وقف اسقف نيويورك ليقدم رئيس اساقفة كنتربري لاخذ الرتبة وخاطب الرئيس بما يأتي (بعدما ذكر انهُ اطلع على رأي بعضهم ان اميركا تحسب من مناشيء الجنس البشري)

"سيدي — يسرني اعتقادي انهُ سواءٌ كانت المدنية اشرقت اولاً على شواطئ القارات الشرقية او الغربية فانها اكتسبت من اسلافنا الانكلوسكسونيين مجداً لن يفنى . وجامعة كولمبيا هذه كانت تدعى بادىء بدءٍ مدرسة الملك لان ملك بريطانيا جورج الثاني كان اول من القى بزور العلم فيها وكان اول من عينهُ من حلقة مديريها رئيس اساقفة كنتربري . وقد مضت السنون العديدة وتبدلت تلك المبادئ الصغيرة بهذه المعاهد الكبيرة الاَّ انهُ لم يمرَّ في تاريخ هذا المعهد العلمي ساعة جليلة كهذه لان رئيس اساقفة كنتربري هو بيننا الآن ليرى بعينيهِ العمل الذي اسسهُ اسلافهُ الاماجد وعززوهُ . وهو بوظيفتهِ السامية وشهرتهِ الواسعة كعالم سياسي وروحاني يجلهُ الناس هناك وهنا وهؤُلاء التلامذة سيزيدون في اجلالهِ ولا سيما بعد ما يلقي البركة على اسس معبدكم الجديد . فانا اقدمهُ ياسيدي لاني عالم انك سترحب بهِ عنا جميعاً وباسم دائرة امناء هذه الجامعة اسألك ان تمنحهُ رتبة الشرف رتبة دكتور في الشرائع"

عندئذ نهض الرئيس بتلر وبيدهِ دبلوما الرتبة وخاطب رئيس الاساقفة باوصافهِ ورتبهِ الدينية والعلمية جميعها ثم سلمهُ الدبلوما وحالما فعل ذلك تقدم من خلفهِ اثنان من عمدة المدرسة وألبسا رئيس الاساقفة شارة الرتبة من الحرير الملون حسب الوان المدرسة . ثم تكلم رئيس الاساقفة بعد ما صفق لهُ الحضور طويلاً وقال

"لي اشرف ايها الرئيس ان اصير من عداد نائلي رتب جامعة كولمبيا ومع اني احدث من هؤُلاء جميعاً فانا اقدمهم بعلاقتي برئاسة اسقفية كنتربري التي كان لها اليد الاولى في تدبير شؤُون هذه الجامعة" ثم قال "تعلمون انهُ لايزال لدينا مسائل شتى ينبغي حلها على اني اعتقد ان مسائل عظيمة ولا سيما في سبيل التربية قد تمكنتم انتم من حلها بسرعتكم المعروفة ونحن لم نستطع اتقانها في اربعمائة سنة . واي رجل يقف تجاه هذا الجمهور العظيم ولا يتأثر من الافكار التي يوحيها اليهِ ؟ نعم نحن واقفون في فجر انور قرن مرَّ فيهِ العالم وعلى شفا اكتشافات عظيمة

ستظهر في عالم المعرفة والعلم ومن يا ترى سيفتح الابواب الجديدة ويستخدم قوى الطبيعة بطرق اكمل من ذي قبل لمنفعة البشر الاَّ اهل العلم انتم الذين اراكم امامي"

وبعد هذا مشى رئيس الاساقفة ورئيس الجامعة يتلوهما الاساتذة والمعلمون والتلامذة والزائرون الى موقع المعبد الجديد حيث جرت الترانيم والصلوات التبريكية وانقضت الحفلة

هذا خلاصة ما وقع في هذه الحفلة اوردتهُ مقدمة طويلة لنتيجة قصيرة احب ان اعلقها هنا وهي اجلال العلم واهلهِ والتباهي برتبهِ حتى من رؤساء الدين الفخام — وقوف رئيس كولمبيا على دكة صغيرة (وهو لا يزال في منتصف عمرهِ) وبيدهِ الدبلوما وامامهُ رئيس اساقفة كنتربري الطائر الصيت متوج ملوك انكلترا واقف بوقار ليتناول الدبلوما ويعتز بالانتساب الى المدرسة ومتخرجيها ويقر بشرف الرتبة التي خلعت عليهِ — كل هذه امور اثرت فيَّ تاثيرًا بالغًا كرجل دخل هذه البلاد حديثًا واثرة رجال الدين وسيطرتهم في الشرق لا تزال في خاطري. هذا ما حداني لكتابة هذه السطور ليقف قراء المقتطف في الشرق على نسبة اهل الدين الى اهل العلم في الغرب ويعلم كل شرقي لم يعلم هذا من قبل انهُ ما دام استبداد رؤساء الدين سائدًا في البلاد فضلاً عن استبداد الحكام فقد ضرب الله لتأخر سورية اجلاً غير مسمًّى

جامعة كولمبيا — نيويورك في ٣ اكتوبر سنة ١٩٠٤ بولس الخولي

رسوخ الاوهام

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

زرت احد معارفي بالامس فجرت امامي المحادثة التابعة بين ربة البيت واحدى زائراتها

ربة البيت — لا اعرف ماذا اعمل لابني فقد صار عمرهُ سنتين وهو لا يستطيع المشي حتى الآن

الزائرة — اني اصف لك شيئًا جرَّبهُ كثيرون من معارفنا وام فلان كان ابنها مثل ابنكِ فاستعملت لهُ هذا العلاج فمشى حالاً

ربة البيت — ما هو

الزائرة — خذي ابنكِ يوم الجمعة وقت صلاة الظهر وخطّيهِ فوق الكوانين في المطبخ قائلة ياشيخ منخل ياشيخ منخل وحياة الكباب والمحشي خلِّ ابني يمشي

هذا ما سمعتهُ باذني . وواصفة هذا العلاج من بنات المدارس وتعرف اللغة الفرنسوية

طنطا سلامون حموي

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ التمدن الاسلامي

الجزء الثالث

موضوع هذا الجزء " العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما احدثهُ الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبيَّة من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك " وقال مؤلفهُ رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان انهُ " يشتمل على خلاصة تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ظهور الاسلام فضلاً عن تاريخها فيهِ "

ولا يخفى ان الموضوع واسع النطاق جدًّا لا يستوفى الاَّ في المجلدات الضخمة فان علماء اوربا الذين كتبوا في تاريخ العلوم وارتقائها وضعوا في تاريخ بعضها كعلم الهيئة وعلم الطب وعلم الكيمياء مجلدات كبيرة فلا ينتظر ان يدمج تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ان دالت دول الاسلام في نحو مئتي صفحة ناهيك عن ان ما يكتب في تاريخ كل علم لا يجيء وافيًا بالمراد ما لم يكن كاتبهُ من المتبحرين في ذلك العلم الواقفين على كتب اهلهِ ومذاكراتهم في مسائلهِ المختلفة وما لم يطالع اشهر الكتب الموضوعة فيهِ. فعلى من يكتب تاريخ علم الكيمياء عند العرب مثلاً ان يطَّلع على اشهر الكتب الموضوعة فيهِ قبلهم ثم على اشهر الكتب التي ترجموها والتي وضعوها ثم يسرد القضايا التي عُرفت قبل عهدهم والقضايا التي عرفوها هم كما فعل ديماس وبلتن وغيرهما . وقس على ذلك علم الهيئة وعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم القطوع المخروطية وسائر العلوم الرياضية وكذلك علم الطب بكل فروعهِ . والاعتماد على الكتب العربية لا يشفي غليلاً لان تكريرها للقول ان العرب اشتغلوا بالعلم والحكمة والرياضة والطبيعة لا يفيد شيئًا وكذلك تعديدها لاسماء المؤلفين واسماء تآليفهم لا يكفي الباحث المحقق . ويظهر لنا ان هذا الجزء شبه مقدمة لما يمكن ان يكتب في هذا الموضوع بما يكفي من الاشباع وهو مع ذلك جامع لفوائد جمة وتحقيقات كثيرة مما لم نرَهُ في غيرهِ من الكتب وبعضها مما لم يذكرهُ احد من الباحثين في هذا العصر غير المؤلف على ما يظهر لنا كاستقصائهِ الخبر عن حرق مكتبة

الاسكندرية الى ما قبل ابي الفرج الملطي فبرَّأَهُ مما اتهمهُ بهِ كثيرون من انهُ وضع الخبر · والفصل الذي عقدهُ المؤلف لهذا الموضوع يشهد لهُ بدقة البحث وحسن النظر وقد رأينا ان ننقل اكثرهُ عنهُ قال :

”جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج الملطي عند كلامهِ عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصهُ ” وعاش (يحيى الغراماطيقي) الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من الفاظهِ الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسةٌ ما هالهُ ففتن بهِ وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكان لا يفارقهُ · ثم قال لهُ يحيى يوماً (انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها فما لك بهِ انتفاع فلا نعارضك فيهِ وما لا انتفاع لك بهِ فنحن اولى بهِ) فقال لهُ عمرو (ما الذي تحتاج اليهِ) قال (كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية) فقال لهُ عمرو (هذا ما لا يمكنني ان آمر فيهِ الاَّ بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب) · فكتب الى عمر وعرَّفهُ قول يحيى فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيهِ (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليهِ فتقدم باعدامها) فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب “

” وليس في نص هذه العبارة التباسٌ ولكن الذين يجلُّون العرب عن احراق هذه المكتبة يطعنون في هذه الرواية وينسبون قائلها الى التعصب الديني وفي جملتهم جماعة كبيرة من مؤرخي الافرنج وقد الفوا الرسائل والكتب في تجريحها · وخلاصة اقوالهم : ان ابا الفرج المذكور هو اول من نسب حريق مكتبة الاسكندرية الى عمرو بن العاص وانهُ انما فعل ذلك تعصباً للنصرانية وتحقيراً للاسلام . وانهُ من اهل القرن السابع للهجرة وكان ابوهُ يهودياً وتنصر وشب ابو الفرج على النصرانية وارتقى في رتب الاكليروس الى الاسقفية ثم الف تاريخاً في السريانية استخرجهُ من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا التاريخ كتاباً في العربية سماهُ مختصر الدول — قالوا ” وهو اول كتاب ذكرت فيهِ هذه القصة وتناقلها عنهُ الافرنج الى هذه الغاية “ وان ما جاء في هذا الشأن من اقوال عبد اللطيف البغدادي والمقريزي وحاجي خلفه من مؤرخي المسلمين لا تعتبر مصادر مستقلة لان المقريزي نقل عن عبد اللطيف حرفياً وحاجي خلفه لم يذكر مدينة الاسكندرية وانما اشار الى ان العرب في صدر الاسلام لم يعتنوا بشيء من العلوم الاَّ بلغتهم وشريعتهم حتى قال ” ويروى

انهم احرقوا ما وجدوهُ من الكتب في فتوحات البلاد " وان عبد اللطيف البغدادي ذكر حريق المكتبة في عرض كلامهِ عن عمود السواري بغير تحقيق . ويزعم اصحاب هذا الرأي ان مكتبة الاسكندرية احرقها الرومان قبل الاسلام وانها لو احرقها العرب لذكرها مؤرخو المسلمين وخصوصاً كتّاب الفتوح والمغازي . اه

"لا ننكر ان بعض هذه المكتبة احترق قبل الاسلام ولكن ذلك لا يمنع احتراق باقيها في الاسلام . اما النصوص التي وردت في هذا الشأن فليس ابو الفرج اول من رواها كما توهم بعضهم . فان عبد اللطيف البغدادي طاف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها وذكر احراق العرب لهذه المكتبة قبل ان يولد ابو الفرج ببضع وعشرين سنة لان ابا الفرج ولد سنة ١٢٢٦ م (٦٢٢ ه) وعبد اللطيف زار مصر في اواخر القرن السادس للهجرة وهاك نص عبارتهِ « ورايت ايضاً حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليهِ قبة هو حاملها . وارى انهُ الرواق الذي كان يدرس فيهِ ارسطوطاليس وشيعتهُ من بعدهِ وانهُ دار العلم التي بناها الاسكندر حين بني مدينتهُ وفيها كانت خزانة الكتب التي احرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنهُ »

"نعم ان عبارة البغدادي مختصرة وقد جاءت عرضاً لكنها تدل على وثوق قائلها بصحتها كانهُ اخذها عن مصدر موثوق بهِ ومعول عليهِ في ذلك العصر كالذي اخذ عنهُ ابو الفرج

" اما ابو الفرج فقد اتمَّ كتابهُ مختصر الدول في العربية في اواخر حياتهِ (توفي سنة ٦٨٤ ه) وهو ليس مختصر تاريخهِ السرياني الاَّ من حيث اخبار الفتح لانه يزيد على النسخة السريانية باخبار كثيرة عن الاسلام والمغول وتاريخ علوم الروم والعرب وادابهم . واما السرياني فهو عبارة عن اخبار الفتح فقط فاغفال ذكر احراق المكتبة فيهِ لا يدل على انهُ دخيل في النسخة العربية او دسهُ فيهِ بعض المتأخرين كما توهم بعضهم وانما ذكر في النسخة العربية لانهُ يتعلق باداب الروم والعرب التي ادخلها المؤلف في هذه النسخة كما تقدم

« وقد تبين لنا بالبحث والتنقيب ان أبا الفرج المذكور نقل تلك الرواية عن مؤرخ مسلم توفي قبلهُ بنحو اربعين سنة وهو جمال الدين ابو الحسن علي بن ابرهيم القفطي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم ولد في قفط من صعيد مصر سنة ٥٦٥ وتوفي في حلب سنة ٦٤٦ ه وللقاضي المذكور كتاب في تراجم الحكماء عثرنا على نسخة منهُ خطية في دار الكتب الخديوية مكتوبة سنة ١١٩٧ ه وقرأنا فيها في اثناء ترجمة يحيي النحوي كلاماً في معنى كلام ابي الفرج

واكثر تفصيلاً منهُ وفيهِ شيءٌ عن تاريخ هذه المكتبة منذ انشائها — واليك نص قولهِ :

”وعاش (يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلم واعتقادهُ وما جرى لهُ مع النصارى فاكرمهُ عمرو ورأى لهُ موضعاً وسمع كلامهُ في ابطال التثليث فاعجبهُ وسمع كلامهُ ايضاً في انقضاء الدهر ففتن بهِ وشاهد من حججهِ المنطقية وسمع من الفاظهِ الفلسفية التي لم يكن للعرب بها انسة ماهالهُ . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكاد لا يفارقهُ . ثم قال لهُ يحيى يوماً (انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاجناس الموصوفة الموجودة بها فاما مالك بهِ انتفاع فلا اعارضك فيهِ واما ما لا نفع لكم بهِ فنحن اولى بهِ) فأمر بالافراج عنهُ . فقال لهُ عمرو (وما الذي تحتاج اليهِ) قال (كتب الحكمة في الخزائن الملوكية وقد اوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها) فقال لهُ (ومن جمع هذه الكتب وما قصتها) . فقال لهُ يحيى (ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليهِ العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجمعت وولى امرها رجلاً يعرف بابن مرة (زميرة) وتقدم اليهِ بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب تجارها ففعل واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة اترى بقي في الارض من كتب العلم مالم يكن عندنا . فقال لهُ زميرة قد بقي في الدنيا شيءٌ في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك من ذلك وقال لهُ دم على التحصيل فلم يزل على ذلك الى ان مات وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا) . فاستكثر عمرو ما ذكرهُ يحيى وعجب منهُ وقال لهُ (لا يمكنني ان آمر فيها بامرٍ الاَّ بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) وكتب الى عمر وعرفهُ بقول يحيى الذي ذكر واستأذنهُ ما الذي يصنعهُ فيها فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيهِ (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها) . فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذٍ وانسيتها فذكروا انها استنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب “ انتهى كلام ابن القفطي

”وبمقابلة هذه الفقرة بكلام أبي الفرج يتضح لك ان أبا الفرج نقل قول ابن القفطي مختصراً . ولو قرأت الكتابين لعلمت ان أبا الفرج نقل كثيراً من زياداتهِ العلمية في كتابهِ

العربي عن كتاب ابن القفطي ككلامهِ عن ثيادوق طبيب الحجاج فان العبارة منقولة عن تراجم الحكماء حرفيًّا

"بقي علينا البحث في المصدر الذي نقل عنهُ ابن القفطي والغالب انهُ نفس المصدر الذي نقل عنهُ عبد اللطيف البغدادي لانهما كانا متعاصرين وعبد اللطيف سابقهُ لانهُ ولد سنة ١٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩ هـ ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر في جملة ماضاع من مؤلفات العرب . على اننا اذا تدبرنا ما ذكرهُ ابن النديم في كتاب الفهرست عن اخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية يتضح لنا ان في جملة المصادر التي نقلت عنها تلك الرواية تاريخًا لرجل اسمهُ اسحق الراهب كان يبحث في اخبار اليونان والرومان وآدابهما . ومن جملة ما نقلوهُ عنهُ خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد زميرة وهاك نصهُ . « ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى امرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكي اربعة وخمسين الف كتاب ومائة وعشرين كتابًا وقال لهُ ايها الملك قد بقي في الدنيا شيءٌ كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم » وهي نفس عبارة ابن القفطي فالظاهر انهُ اخذ انشاء المكتبة عن اسحق المذكور واخذ حريقها عن سواهُ . ولولا ما نقلهُ ابن النديم عن اسحق الراهب من أمر الفلاسفة لما علمنا بوجودهِ وظنناهُ لم يقل شيئًا كما ظننا المسلمين لم يذكروا شيئًا عن حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو

"فيؤخذ مما تقدم ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلقها ابو الفرج لتعصب ديني ولا دسها احدٌ بعدهُ بل هو نقلها عن ابن القفطي وهو قاضٍ من قضاة المسلمين عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجبر والتعديل وكان صدرًا محتشماً جمع من الكتب ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليهِ من الآفاق وكانت مكتبتهُ تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها ولهُ حكايات غريبة عن غرامهِ بالكتب ولم يخلف ولدًا فاوصى بمكتبتهِ لناصر الدولة صاحب حلب . ولهُ مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين في ستة مجلدات وكتاب تراجم الحكماء الذي نحن في صددهِ . وان ابن القفطي وعبد اللطيف البغدادي اخذا عن مصدر ضائع . واما خلوّ كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلا بد لهُ من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوهُ

او لعلَّ لذلك سبباً آخر . وفي كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية ابي الفرج" . انتهى

ومعلوم ان نقل ابي الفرج عن ابن القفطي المعروف بالقاضي الاكرم لايحل المسألة بل بعد الاسناد درجة . ولا تزال هذه المسأَلة في معرض البحث لاسيما وان رواية ابن القفطي بعيدة عن التحقيق التاريخي وقد رجح الباحثون ان يوحنا النحوي المذكور فيها هو يوحنا فيلبونس الذي نشأ قبل الفتح باكثر من مئة سنة

والكتاب في مئتي صفحة بقطع المقتطف وهو حافل بالفوائد التاريخية جامع لزبدة كتب كثيرة وقد اسند المؤلف مانقلهُ الى المصادر التي نقل عنها وذكر الجزء والصفحة ولكنهُ اغفل ذكر الطبعة التي نقل عنها وبعض الكتب طبع مراراً فلا تنطبق صفحات الطبعة الواحدة على صفحات الطبعة الثانية . وتتمُّ الفائدة لو اشار في صدر الكتاب الى النسخ التي اعتمد عليها كما فعل صاحب كتاب حضارة الاسلام

ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

لما كانت المكاتب العربيَّة حافلة بالكتب العلمية من مترجَم وموضوع كان تلخيص مواضيعها مهلاً على الباحثين كما فعل مؤلف هذا الكتاب وهو الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصار السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة فانهُ جمع مواضيع اكثر العلوم المعروفة لعصرهِ في رسالة وجيزة وذكر فيها من اسماء الكتب المؤلفة في العلوم المختلفة ما يرشد طالب البحث عن علوم العرب والمنقول اليهم والمنقول عنهم فيسهل عليهِ استقصاء ما يريد استقصاءهُ . خذ مثالاً لذلك ما ذكرهُ عن علم الهندسة قال "هو علم يتعرَّف منهُ احوال المقادير ولواحقها واوضاع بعضها عند بعض ونسبها وخواص اشكالها والطرق الى عمل ما سبيلهُ ان يُعمَل بها واستخراج ما يحتاج الى استخراجهِ بالبراهين اليقينيَّة . وموضوعهُ المقادير المطلقة اعني الجسم التعليمي والسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل . واجزاؤُهُ الاصلية عشرة" وبعد ان فصَّل هذهِ الاجزاء قال "ولم ارَ الى الآن كتاباً يشتمل على هذهِ الاجزاء العشرة لكن لو كمل تصنيف الاستكمال للمؤتمن بن هود رحمهُ الله لكان كافياً مغنياً واما كتاب الاستقصات لاقليدس فانهُ يحتوي على المهم من الجزء الاول والثاني والرابع والخامس والسادس والثامن واما الجزء الثالث فينفرد بهِ كتاب المخروطات لابلينوس والسابع ينفرد بهِ كتاب الاشكال الكرية لمالاناوس والجزء التاسع بعضهُ في الاستقصات و بعضهُ في كتاب الكرة والاسطوانة لارشميدس والجزء العاشر ينفرد بهِ كتاب الكرة المتحركة لاقطوقيوس"

ويظهر من ذلك ان كتب الرياضيات المحضة كانت الى عهد المؤلف ترجمات من كتب اليونان . ثم استطرد الى ذكر العلوم الممتزجة المبنيَّة على الرياضيات وسماها بالعلوم المتفرعة من الرياضيات وقال انها عشرة وهي علم عقود الابنية وعلم المناظر وعلم المرايا المحرقة وعلم مراكز الاثقال وعلم المساحة وعلم إنباط المياه وعلم جر الاثقال وعلم البنكامات وعلم الآلات الحربيَّة وعلم الآلات الروحانية . وذكر في علم عقود الابنيَّة كتاباً لابن الهيثم وكتاباً للكرخي وفي علم المناظر كتاباً لاقليدس وكتاباً لابن عيسى الوزير وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المرايا كتاباً لابي علي بن الهيثم وفي علم مراكز الاثقال كتاباً لابن سهل الكوهي وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المساحة كتاباً لابن المحلي الموصلي وكتاباً لابن المختار وكتاباً لارشميدس الخ . ويتضح من ذلك ان العرب اعتمدوا في الاصول على كتب اليونان واما الفروع فالفوا فيها كتباً كثيرة

وقد استفدنا من هذه الرسالة ان السموأل برهن على مسائل علم الجبر بالبراهين العددية والخيَّام برهن عليها بالبراهين الهندسية وحبذا لو ارشدنا احد الى حيث يوجد كتابا السموأل والخيَّام

هذا ومجال البحث في علوم العرب وما اقتبسوهُ وما وضعوهُ واسع جدًّا ولم نرَ لاحد في ذلك كلاماً شافياً حتى الآن فاذا اريد ان يُعرَف تاريخ العلوم عندهم وجب ان يبحث في كل علم منها على حدتهِ وتذكر قضاياهُ التي عرفها الناس قبلما تناولها العرب والقضايا التي زادها العرب فيهِ وبذلك لا بغيرهِ يعرف تاريخ العلم عندهم وينصفون فلا ينسب اليهم ماليس لهم ولا يبخسون اشياءهم

وقد عني بطبع هذه الرسالة حضرة اسعد بك حيدر احد اعيان قضاء بعلبك بعد ان وقف عليها وصححها حضرة العالم المحقق طاهر افندي بن صالح الجزائري احد علماء دمشق

تهذيب النفس

خطبة للاستاذ الفاضل جرجس افندي همام احد اساتذة المدرسة الكلية الشرقية في مدينة زحلة القاها على طلبة المدرسة في احتفالها السنوي هذا الصيف . واوضح فيها ان النفس مولعة بالمعرفة والتدرُّج فيها ترقياً الى الكمال لان للانسان وجوداً معنويًّا غير وجودهِ المادي والمدني . وهذا الوجود المعنوي هو الحياة الانسانية الحقَّة التي تقوم بتغذية النفس بالمعارف وتحليتها بالفضائل . فالتهذيب بالعلوم هو غاية النفس واليهِ تنزع وما احراها لهُ لانها لهُ خلقت وبهِ تحيا وتتدرَّج في معارج الكمال . ومقام المرء من المجد والعلي هو حيث يجعل نفسهُ من سلَّم العلم والتهذيب . واستشهد الخطيب احياناً بسير الفضلاء لايضاح مرادهِ قال :

” كان دِكرت الفيلسوف الفرنسي يعتبر ذاتهُ كائنًا مفكّرًا وسعى سعيًا متواصلاً في تهذيب نفسهِ وترويض قواهُ العاقلة بُغية أن يجلو غامضًا او يحرّر مشكلاً او يحقق مظنونًا او يكشف عن نافع يعود على الناس بالخير . ولم يدُر في خلدهِ ان يعمل شيئًا رياءً ولا سُمعةً ولذلك تحاشى في اليسير الذي نشرهُ من مصنفاتهِ كل ما يؤَدي الى نباهة الذكر والشهرة بين الناس . ونعم المبدأُ الشريف مبدأهُ فان محبة الحق أمارة فارقة يمتاز بها من كان صادق العزم في تهذيب نفسهِ عمَّن سواهُ . ولذلك يستنكف من الدعوى انفةً واستكبارًا ويرى الابتهار عارًا . ينبذ القشور جانبًا ويحرز لُباب المعارف. يكرهُ التلفيق والترميق في الاعمال ويميل الى الإجادة والإتقان لا طمعًا في استحسان الناس ولا ابتغاء المكافأة ولكن استئنانًا بسنَّتهِ الذاتية التي اختطَّها لنفسهِ . فان الافكار الصحيحة كالمبادئ القوية غايتها مقصورةٌ على نفسها لا تتخطاها الى المثوبة ولا الى حسن الاحدوثة“

والخطبة كلها على هذا النسق من بلاغة العبارة وحسن البيان

حدائق المنثور والمنظوم

كتاب انتقاهُ الاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني من كتب البلغاء الموصوفين وفرسان البراعة المعدودين وارباب اليراعة المشهورين لكي يطالع في المدارس فيرسم في ذهن حافظهِ رواية ودراية ملكة الفصاحة والبلاغة بالغة حد النهاية وهو قسمان احدهما للمنثور وقد جعلهُ ثلاثة اجزاء والآخر للمنظوم ولم يذر مجالاً تجول فيهِ الاقلام ولا موردًا تحوم عليهِ حوائم الافهام الاَّ اثبت فيهِ ما يحمل بالكتَّاب محاكاتهُ وتسهل لهم وعورة السبل معارضتهُ ومضاهاتهُ والحقهُ بمعجم نشر فيهِ ما ورد في الكتاب من الغريب

وحبذا لو الحق بالمعجم فصلاً ضمنهُ ترجمات الكتَّاب الذين نقل عنهم ووصف الكتب التي نقل منها وذلك بالايجاز التام كأن يقول عن الغزالي مثلاً انهُ الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي صاحب كتاب احياء علوم الدين وكتاب تهافت الفلاسفة كانت وفاتهُ بطوس سنة ٥٠٥ للهجرة (١١١١ للميلاد) . وعن المستطرف هو كتاب المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الابشيهي وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة في ... سنة ... وهلمَّ جرًّا

كلمات في سبيل الحياة

هو مقالات ادبية فلسفية للمنشئ الاديب احمد افندي حافظ عوض جرى فيها مجرى لورد افبري في كتابهِ المشهور سعادة الحياة الذي نقلنا بعض فصولهِ الى المقتطف . وقال ان مبحث

الحياة وسعادتها من اهم المباحث التي يجب ان توجَّه اليها انظار الامة المصرية من ابواب الاقتصاد والتدبير والسعي والنشاط اذ اننا اصبحنا لا نرى اللذة الاَّ في الاشياء المادية ولا نظن السعادة الاَّ بالثروة وما شاكلها مع ان اللذة توجد في كل شيء اذا نظر اليهِ الانسان بعين الحكمة والبصيرة " وان الذين ينصحون الناشئة بالتمسك بالفضائل و ينتقدون على المدارس يجب عليهم ان يسعوا كذلك في ترقية الامة وتهذيب رجالها ليكون الآباء قدوة للابناء والاكابر قدوة للاصاغر . واما اذا لم تشيَّد للعلوم والمعارف اندية ولم ينشط العامل والنبيه ولم يبجل المؤدب ولم تعطَ المراكز بالاستحقاق والكفاءة الشخصيةَ فلا ادب يفيد ولا اديب " .

والمقالات كلها على هذا النسق . واننا في حث الامة على اكتساب الماديات باتقان الزراعة والصناعة والتجارة لكي تغتني وتقوى يجب ان لاننسى حثها على اكتساب الادبيات حتى تملكها الفضائل وتتَّصف بمكارم الاخلاق

تمريض المرضى

وضع هذا الكتاب حضرة السيدة الفاضلة ادلا ورتبات كريمة استاذنا الدكتور يوحنا ورتبات وقد نشر اولاً فصولاً في المقتطف ثم طبع على حدتهِ في كتاب صغير الحجم يسهل وضعهُ في الجيب واستعمالهُ في البيت ولا نبالغ اذا قلنا انهُ انفع الكتب المنزلية في حال المرض كما ان كتاب ابيها الدكتور ورتبات انفع الكتب المنزلية في حال الصحَّة . وقد اهدت المؤلفة كتابها هذا الى السيدة الفاضلة مدام الياس بك سرسق . وقالت في اهدائهِ انها فعلت ذلك تذكارًا للساعات السعيدة المفيدة التي قضتاها معًا في اعادة تنظم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتدريب الممرضات الوطنيات . فان مدام سرسق هذه من السيدات السوريات المثريات المشهورات باعمالهنَّ الخيرية

والسيدة ادلا ورتبات المؤلفة من نوابغ بنات سورية تلقت دروس طب النساء وتمريض المرضى في اشهر المدارس الانكليزية وخدمت وطنها خدمةً جلَّى في تنظيم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتأليف هذا الكتاب اقتداء بوالدها الفاضل الذي قلَّد جيد العربية المتن بتآليفهِ الكثيرة فوق خدمتهِ الطويلة في المدرسة الكلية الاميركية ومستشفاها . وقد استسمحنا حضرتها بنشر صورتها ههنا وهي لابسة لبس الممرضات

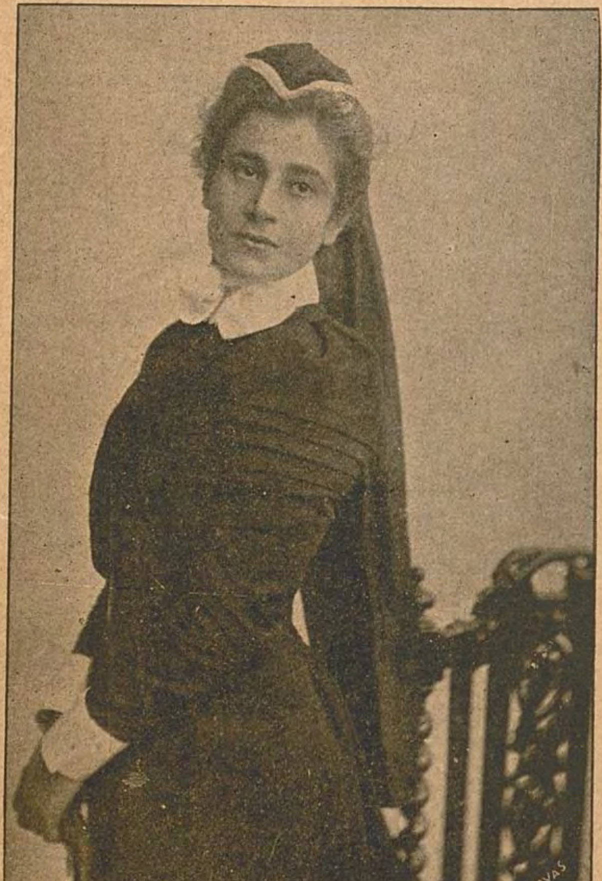

ادلا ورتبات

الكلمات الايطالية في العربية

اهدى الينا حضرة الفاضل سقراط بك سبيرو مدير مصلحة المواني والفنارات في الاسكندرية وصاحب القاموس المعروف باسمهِ — نسخة من كراس جمع فيهِ الكلمات الايطالية المستعملة في اللغة المصرية العامة . وقد قال في مقدمتهِ ان الكلمات التي استعارها المصريون من اللغة الايطالية اكثر عدداً مما استعاروهُ من سواها ما عدا التركية وذلك يدلُّ على ان الايطاليين كانوا اول من ادخل التمدن الغربي الى مصر

ومن الفوائد التي في هذا الكرَّاس ان منشىء البوستة المصرية ايطالي واول رئيس للاستئناف المختلط ايطاليٌّ ايضاً وعدد الاوربيين في الاسكندرية ٤٦١١٨ الفاً وفي العاصمة ٣٥٣٨٥

هذا ويبلغ عدد الكلمات التي جمعها المؤَلف ٤٠٠ كلمة او اكثر وهي في مواضيع مختلفة مثل الاكل والشرب واللبس والتجارة والاصوات التي ينادي الباعة بها في الشوارع واسماء الشهور والالآت والاسماء الجغرافية والاعلام وغير ذلك . وقد جعل كراسهُ تذكاراً للمرحوم الاستاذ فسك المشهور فنثني على حضرتهِ اطيب الثناء لاهتمامهِ بموضوع لا تنكر فائدتهُ اللغوية والاجتماعية

بابُ تدبيرِ المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقام المرأة في انكلترا

كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة البودوار تحت هذا العنوان قالت فيها :

يذهب البعض الى ان الزمان الحاضر زمان يتمتع النساء فيهِ بحرية عظيمة . والحقيقة ان القيود التي لا تزال النساء مقيدات بها ثقيلة يرسفن فيها رغماً عن ارتقاء منزلتهن في المجتمع الانساني ومعظم ذلك الارتقاء انما هو في منزلة الامرأة المتزوجة فان سلطتها على اولادها زادت

عما كانت عليهِ اولاً ولكنها ليست مساوية لسلطة زوجها عليهم . ولها الحقّ في شراء الاملاك وبيعها كما لو كانت عزباء

ومن الحقوق التي نالتها حديثاً السماح لها بدخول المدارس العليا . وقد لقيت في ذلك اشدّ المقاومة من الذين كانوا يزعمون ان الجهل وحدهُ يصون المرأة ولا تزال مدرستا اكسفورد وكمبردج تأبيان عليها رتبهما . ولكنها مساوية للرجل من هذا القبيل في معاهد العلم الاخرى

على ان عدد الوالدين الذين يميلون الى تعليم بناتهم العلوم العليا مثل بنيهم لا يزال قليلاً وليس السبب الاوّلي في ذلك امر النفقات لان الاغنياء والفقراء سواء بهذا النظر . ثم ان حالة المرأة من حيث تعاطي الاعمال مظلمة مهما كانت مواهبها فان الحرف التي يسمح لها باحترافها قليلة والاجرة التي تأخذها صغيرة . وليس بين الحرف الشريفة حرفة يسمح لها بتعلمها سوى الطب

ومعظم البنات المتعلمات يمارسن التعليم وهنّ اكثر عدداً من المعلمين في المدارس الابتدائية ولكن الاجور التي يتقاضينها تبلغ ثلثي اجور المعلمين مع ان الفريقين متساويان في الكفاءة ومقدار العمل . ووسائط ترقيهن قليلة فاذا خلت وظيفة ناظر في احدى المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً وقدم المعلمين والمعلمات الطلبات لنيل تلك الوظيفة رفض اصحاب الشأن النظر في طلبات المعلمات وعينوا الناظر من المعلمين

واغرب من هذا وذاك ان اجور المعلمات في المدارس العليا اقلّ من اجور المعلمين في المدارس الابتدائية فهي قلما تزيد على مئة جنيه في السنة ومعظمها اقلّ من ذلك كثيراً . واعلى مناصب التعليم محصور في الذكور مثل مناصب مفتشي الحكومة واساتذة الكليات الكبيرة . فقد سُمع رجل من رجال لجنة وكل اليها تعيين استاذ لالقاء الخطب على التلاميذ والتلميذات يقول "ليس عندنا من يصلح لذاك المنصب مثل السيدة فلانة لو كان تعيينها فيهِ ممكناً" ولا يثبط همة الفتاة وعزيمتها مثل معرفتها ان الرجال يحرمونها من مركز هي كفوءة لهُ لمجرد كونها أُنثى

وبين النساء كثيرات يحترفن التمريض وهو مع صعوبتهِ لا يكسبن منهُ اكثر مما يكسب الخادم في المنازل . اما التجارة فان معظم اللواتي يشتغلن بها منهنَّ مستخدمات عند التجار لبيع السلع بالتفاريق . وقلما ترى امرأة تدير محلاً تجاريًا والسبب في ذلك عدم وجود رأس المال اللازم للاعمال التجارية معها وقلة تمرنها واختبارها . فان التجار لا يسمحن لبناتهنّ بالعمل في مكاتبهنّ ولا في مخازنهنّ . ووسائط الترقي قليلة في وجوه كاتبات المحلات التجارية لانهنّ لا يستخدمن

للترقي بل ليبقين عند قاعدة السلَّم التجارية

والنساء المستخدمات في مصالح الحكومة مثل البوستة والتلغراف والتلفون وغيرها يأخذن اجورًا قليلة جدًّا . ولا ريب ان أخذ النساء لاجور اقلّ من اجور الرجال يزيد المزاحمة التجارية والصناعية تعقدًا

والرجال الذين يقاومون استخدام النساء يعتذرون عن ذلك بقولهم ان النساء لا يطول بهنَّ الزمان حتى يتزوجنَ ويصبحنَ معلقات بازواجهنَّ وفاتهم ان الزواج غير ميسور للجميع لاسباب منها ان النساء اكثر عددًا من الرجال في انكلترا . ثم ان المرأة المتزوجة كثيرًا ما يموت زوجها او يمرض فتضطرُّ ان تعول اولادها بنفسها . والمعروف الآن ان عدد النساء المستخدمات في المحلات التجارية والصناعية يزداد على التوالي وتحسين حالهنَّ مسألة تشغل البال وتهيج البلبال

ثم اشارت الكاتبة في ختام مقالها الى حرمان المرأة الحقوق السياسية وانحطاط منزلتها الاجتماعية والعيوب الاقتصادية التي تنوءُ تحتها ووصفت لهذا الداء ان يسمح للمرأة بانتخاب النواب اسوة بالرجال اذ الانتخاب اساس الحرية واذا تمَّ لها ذلك وصار لها نواب في مجلس الامة زالت النقائص والمساوئ التي تصمها وصلح حالها ومآلها

تهذيب البنات

وكتبت سيدة اخرى مقالة في تهذيب البنات في المجلة نفسها قالت فيها ان بين الرجال والنساء عددًا عظيمًا يهتمون بتربية كلابهم وخيلهم اكثر مما يهتمون بتربية اولادهم . على ان منهم كثيرين لا يدخلون تحت هذا الحكم بل يعنون بتربية اولادهم وتهذيبهم وينكبُّون بكليتهم على ما فيهِ خيرهم ومصلحتهم . والاولون يظنون انهم اذا اطعموا اولادهم والبسوهم ورفّهوهم فهناك تنتهي مسؤُوليتهم وانهُ لا يطلب منهم شيءٌ آخر بعد ذلك . فينشأُ الاولاد على الخير او على الشرّ اذ لا وسط بين الاثنين ويتعلمون ويقتبسون مما حولهم حسنًا كان او قبيحًا ووالدوهم لا يشعرون الاَّ وقد تأصلت فيهم الاخلاق والعادات التي اقتبسوها اما للفخار واما للشنار

وكثيرًا ما سمعنا امًّا نكبت بابن او ابنة جلبا العار عليها وعلى بيتها تعول وتقول ” اواه لماذا بلاني الله بهذا المصاب . ايَّ ذنب جنيت وايَّ وزر اقترفت حتى ابتليت بولد جلب عليَّ المذلة والعار „ والجواب على ذلك انها لم تنكب بولد عقوق لانها فعلت امرًا من الامور بل لانها لم تفعل . فكيف تؤمل الامُّ التي تكل امر اولادها الى الخادمات اياماً واسابيع بل

اشهرًا وسنين ان ينشأُوا مثل الاولاد الذين يتولى والدوهم بانفسهم امر تربيتهم ومراقبتهم الولد على ما ينشأ . علمهُ ألاَّ يحبَّ الاَّ الجميل فيشبَّ محبًّا للجميل كارهًا للقبيح . علمهُ الحبَّ ولا تعلمهُ غيرهُ فيشبَّ وهو لا يعرف البغض · ومن اول واجبات الوالدين ان يعلموا اولادهم كيف يستقبلون كوارث هذه الحياة ونوازلها ويعدُّونهم لها حتى اذا نزلت بهم لا يندبون سوءَ حظهم ولا يستسلمون لاهواءِ النفس . علمهم ان المصائب انما تضرُّ بهم اذا تركت تمرّ ر نفوسهم وتخترق حجبها وانها ترقيهم وتجمل اخلاقهم اذا بشُّوا بوجوههم وهشُّوا لها · علّم البنت ان مصدر الرضى والانبساط والسعادة في هذه الحياة انما هو داخلها وانهُ في طوقها ان تجعل عيشها ابيض او اسود — انعم من النعيم او اشقى من الجحيم . لنكن خير قدوة لاولادنا ولنستقبل نوب الدهر امامهم بثغر باسم وجاش رابط فان القدوة اشد تأثيرًا في نفوسهم من جميع الآراء والمبادىء التي يعلّمونها بالقول

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) خزان اصوان وقناطر اسنا

طنطا · الياس افندي جرجس ميخائيل · هل تعلية خزان اصوان وعمل خزان بقرب اسنا يفيدان مديريتي قنا واصوان وهل عملهما هو لجعل اراضي المديريتين تروى ريًّا صيفيًّا او لمنع الشراقي فقط

ج · الغرض من تعلية الخزان وبناء القناطر تكثير الماء الصيفي وتعليتهُ لتعميم الري الصيفي في مديريات الوجه البحري ومديريات الوجه القبلي الى حد قنا ولكنهُ لا يفيد في منع الشراقي فوق قنا

(٢) بنك النصيب الجديد

طنطا · ج · هل اوراق اليانصيب التي اكثر بنك النصيب الجديد الاعلان عنها ليس فيها اختلاس في السحب او غيرهِ

ج · كلاَّ ولا يخشى ان بنكاً معتبرًا يستعمل الغش والاختلاس ولا داعي للغش والاختلاس لان اصحاب القرعة او بنك

النصيب يكسبون مكسباً كافياً من الفرق بين الاوراق التي يبيعونها والاموال التي يدفعونها للرابحين فاذا جعلوا ثمن الاوراق مئة الف جنيه جعلوا قيمة الجوائز سبعين الفاً او ثمانين الفاً فقط فيكون الفرق ربحاً لهم ونفقات ينفقونها على ادارة العمل

(٣) الرجل والرضاعة

طنطا . الخواجه يوسف حديده . قرأنا في باب المسائل رداً على سؤَال عثمان افندي سنو صفحة ٩١٦ ان الرجل كان يرضع اولادهُ كالمرأة في غابر الزمن فكيف ذلك والمرأة لا يوجد اللبن في ثدييها الاَّ بعد ما تلد فكيف يوجد اللبن في ثدي الرجل وهو لا يلد

ج . ليس الولادة شرطاً لوجود اللبن في الثدي لانهُ قد يوجد قبلما تلد المرأة او بعد ما تلد بسنين كثيرة . وامامنا الآن قطة ترضع من اختها واختها اكبر منها ولكنها لم تلد قط . وقد رأينا امرأة ارضعت ابن بنتها بعد ان مضى على آخر ولد ولدتهُ اكثر من ١٥ سنة والغالب ان اللبن يتولد في الثدي في زمن الولادة ليكون غذاءً للطفل . هذا هو النظام الجاري الآن ولكن لا شيء يمنع انهُ لم يكن كذلك دائماً . وفي تضخم ثندوتي الفتى وقت بلوغهِ كتضخم ثديي الفتاة وقت بلوغها اشارة الى ان ثندوتي الرجل كانتا تكبران وتفرزان لبناً حين الحاجة اليهِ وذلك كلهُ من باب الظن او الترجيح لا من باب التأكيد

(٤) البيرا وشربها

زحلة . ابرهيم افندي ميخائيل عطا كيف تصنع البيرا وما هي المواد المستعملة في تركيبها واي الشعوب اكثر ولوعاً بها

ج . البيرا نقاعة مختمرة من الشعير وحشيشة الدينار . ينقع الشعير في قليل من الماء حتى يشرع يفرخ اي يتحوَّل بعض نشائهِ الى سكر ثم يجفَّف ويحمص ويطحن او يهرس ويصب عليهِ ماء سخن حتى يذوب كل ما يمكن تذويبهُ منهُ وتضاف حشيشة الدينار الى السائل ويغلى ثم يبرد حالاً . وقد وصفنا كيفية عمل البيرا بالاسهاب في الصفحة ٥٤٤ من المجلد الثالث عشر من المقتطف

واكثر الناس شرباً للبيرة الالمانيون ثم الانكليز فالفرنسويون فالروسيون . وقد حسبوا ما شربتهُ هذه الامم وغيرها سنة ١٨٩٩ فكان هكذا

الالمانيون	١٤٠٠	مليون	جالون
الانكليز	١٢٠٠	"	"
الفرنسويون	٢٠٠	"	"
الروسيون	١٠٠	"	"

ويشرب البلجيكي ٣٦ جالوناً في السنة والانكليزي ٣٠ جالوناً والالماني ٢٥ جالوناً والدنمركي ٢١ جالوناً والسويسري ١٢ جالوناً والاميركي ١٢ جالوناً والهولندي ٩ جالونات والفرنسوي ٥ والاسوجي ٢ والروسي ١

(٥) فن التعليم

ومنهُ . ماهي الكتب التي أُلفت وطبعت باللغة العربية في فن التعليم واين تباع

ج . لم يبغلنا انهُ أُلفت كتب في العربية في فن التعليم حتى الآن

(٦) عدد الاوربيين والامريكيين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٩٠٠

سان بولو بالبرازيل . الخواجة جبران نعوم

كم كان عدد نفوس كل مملكة من ممالك اوربا الكبيرة والولايات المتحدة في بداءة القرن التاسع عشر وفي بداءة القرن العشرين

ج . ترون ذلك في الجدول التالي وقد ذكرنا العدد فيهِ بالملايين

	١٨٠٠	١٩٠٠
روسيا	٣٨	١٣٠
الولايات المتحدة	٠٤	٠٧٧
المانيا	٢٥	٠٥٦
النمسا والمجر	٢٧	٠٤٤
بريطانيا	١٥	٠٤١
فرنسا	٢٧	٠٣٨
ايطاليا	١٨	٠٣٢
اسبانيا	١٢	٠١٨

(٧) نسبة الرسوم والصور الى الحقيقة

ومنهُ . ما هي القاعدة المتبعة في رسم الخزائن والمرايا ونحوها في دفاتر المعامل الصناعية اي ماهي نسبة الرسم الى الحقيقة

ج لا يظهر لنا انهُ توجد نسبة مضطردة لاننا رأينا دفاتر (كاتالوجات) مختلفة تكون الصور في بعضها كبيرة وفي بعضها صغيرة والغالب ان يكون القياس اربعة في المئة اي ان ما طولهُ اربعة سنتمترات في الرسم يكون طولهُ في المرسوم متراً. الأ انا اكثر الرسوم يكون طولها وعرضها مكتوبين تحتها فتعلم النسبة بين الرسم والمرسوم بسهولة

(٨) الحروب

ومنهُ . يقول البعض ان الحروب من ضروريات الحياة ولولاها ما ارتقى نوع الانسان فهل ذلك صحيح

ج . ان الميل الى الحرب او الجهاد موروث في الانسان عن اسلافهِ الاولين ولا ندري ماذا كانت حال الانسان لولا الحروب ولكن لا شبهة في ان لها شأناً كبيراً في ارتقائهِ جسداً وعقلاً

(٩) النيازك

كاتبرك بداكوتا (اميركا) الخواجه طنوس ابو رزق . ما هي النجوم التي نراها تتساقط في بعض الليالي

ج . هي حجارة صغيرة من بقايا نجم متكسّر او من مجاميع سابحة في الفضاء تجذبها الارض اذا دنت منها فتقع عليها وفي وقوعها تحتك بالهواء فتحترق من سرعة حركتها وتظهر منيرة وقد تكون كبيرة فتصل الى الارض واكثر مادتها من الحديد

باب الاخبار العلمية

الظواهر الفلكية في شهر نوفمبر

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	١	١	١٣	صباحًا
الهلال	٧	٥	٣٧	مساء
الربع الاول	١٥	٢	٣٦	صباحًا
البدر	٢٣	٥	١٢	"
الربع الاخير	٣٠	٩	٣٨	"

تدخل الشمس برج الرامي في الثاني والعشرين من الشهر الساعة ٧ مساء

يكون عطارد قريبًا جدًّا من الشمس في اوائل الشهر فلا يرى ثم يصير نجم المساء

والزهرة نجمة المساء تغرب بعد الشمس بنحو ساعتين

والمريخ يطلع الساعة ٢ والدقيقة ٣٠ صباحًا ويشرق كنجم الصباح

ويرى المشتري جنوبًا الساعة الرابعة صباحًا

ويميل زحل الى الجنوب الساعة السابعة مساء ويغرب نصف الليل

اتساع الممالك الانكليزية

ازداد عدد سكان الممالك الانكليزية منذ اربعين سنة الى الآن بالنمو الطبيعي والفتوح اكثر من مئتين وعشرين مليونًا كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٨٦١	عدد السكان	١٧٥ مليونًا
"	١٨٧١	" "	٣٥٥ "
"	١٨٨١	" "	٣٧٢ "
"	١٩٠١	" "	٤٠٠ مليون

وكانت مساحة السلطنة الانكليزية سنة ١٨٦١ نحو ثمانية ملايين من الاميال المربعة فبلغت سنة ١٩٠١ نحو اثني عشر مليونًا فهي اكثر من خمس المسكونة كلها مع ان المملكة الانكليزية نفسها اي انكلترا واسكتلندا وارلندا لا تزيد مساحتها على ١٢١٠٨٩ ميلاً فسكان كل ميل منها يحكمون على سكان مئة ميل من المعمور

وقد يظن لاول وهلة ان الانكليز هاجروا الى البلدان القاصية وعمروها لان بلادهم ضاقت بهم. وهذا غير صحيح فان سكان انكلترا وويلس يبلغون نحو ٢٣ مليون نفس وفي انكلترا وويلس ٣٧ مليون فدان فالبلاد الانكليزية اقل ازدحامًا من القطر المصري لان سكان القطر المصري عشرة ملايين ومساحة اطيانهِ نحو خمسة ملايين فدان

الاستاذ فنسن

يتذكر قراء المقتطف اسم الاستاذ فنسن مستنبط العلاج بالنور وقلَّ من يعلم منهم ان هذا الرجل قضي الايام يبحث ويمتحن وهو مريض بداء اليم وداء عقيم داء المفاصل وداء الاستسقاء مع ضعف في القلب والكبد لكنهُ بالغ في الحمية والتوقي حتى تمكن من تحقيق ارائهِ ثم وافتهُ منيتهُ في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ . وقد درس في مدرسة كوبنهاغن ثم صار استاذاً للتشريح فيها واتصل الى علاج الجدري بالنور الاحمر ثم اثبت فعل النور في قتل الجراثيم المرضية واستنبط القنديل الذي يستعمل لذلك . ولما منح جائزة نوبل لاكتشافهِ هذا وهي مئة الف ريال وهب نصفها للمستشفى الذي انشئَ للعلاج بالنور مع انهُ ليس من اهل الثروة

عمر البيض

ذكرت احدى الجرائد الالمانية طريقة بسيطة لامتحان البيض اساسها ان الهواء الذي في "عقب" البيضة يزيد كلما قدم عهدها . وهي ان توضع البيضة في ماء مشبع بالملح ويوضع معها ميزان لقياس زاوية ميلها فاذا كانت جديدة بقي وضعها افقيًّا في قعر الاناء وكلَّما مرَّت الايام عليها ارتفع عقبها الى فوق ومالت الى الوضع العمودي . فالبيضة التي عمرها من ٣ ايام الى ٥ يرتفع عقبها وتكوّن زاوية ميلها ٢٠ درجة . والتي عمرها ٨ ايام تكوّن زاوية ميلها ٤٥ درجة . والتي عمرها اسبوعان تكوّن زاوية ميلها ٦٠ درجة . والتي عمرها ثلاثة اسابيع تكوّن زاوية ميلها ٧٥ درجة . والتي عمرها شهر تنتصب عمودية رأسها الى تحت وعقبها الى فوق

الاطعمة المغشوشة

عزمت حكومة الولايات المتحدة الاميركية على انشاء مستوصف كيماوي في نيويورك لفحص مواد الطعام التي ترد عليها من الخارج ومعرفة السليم من المغشوش منها . والذي حملها على هذا هو انهُ قدم نيويورك حديثًا ثلاث بواخر حاملة موادّ طعام اشتبه فيها . وبعد الفحص الكيماوي وجدت مغشوشة فأُعيدت من حيث جيءَ بها

علاج مرض النوم

روى مكاتب جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية في باريس ان الدكتور لافران من اطباء مستوصف باستور اكتشف دواءً لمرض النوم ولقَّح بهِ حيوانات لقّحت بمكروبات المرض فشفيت منهُ

الذكور والاناث

ظهر بالاحصاء ان عدد الاناث اكثر من

عدد الذكور في البلاد الانكليزية بنسبة ١٠٦٨ الى ١٠٠٠ . واذا قوبل بين الذكور والاناث الذين في سن الزواج اي بين ٢٥ و٣٥ فعدد الاناث يزيد على عدد الذكور بنسبة ١١١٤ الى ١٠٠٠ . والنساء اطول عمرًا من الرجال فيزيد عددهنَّ على عددهم من سن ٨٥ فصاعدًا بنسبة ١٦٩٣ الى ١٠٠٠

ضرر الاعشاب البرية

لا يخفى ان الاعشاب البرية التي تنمو بين المزروعات والاغراس تضرُّها ضررًا كبيرًا وقد بحث الدكتور سمرڤل في هذا الموضوع في خطبة تلاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني فبيَّن ان الضرر ناتج ليس عن اخذ الاعشاب للغذاء من الارض ولا عن اخذها الرطوبة منها ولا عن منعها حركة الهواء بل عن فعل سامّ تسمُّ بهِ المزروعات والاغراس. وربما ترجمنا خطبتهُ برمتها ونشرناها في الجزء التالي لما فيها من الفوائد الكثيرة

لون الشعر والصحَّة

بيَّن الدكتور شربسل في مجمع ترقية العلوم ان شقر الشعر اشد تعرُّضًا لامراض الطفولية من سود الشعر وان سود الشعر اشد تعرضًا للسل من الشقر وذلك بعد ما يجتازون سن الصبوة وان الشقر معرضون لامراض المفاصل والسمر للامراض الرئوية

اكبر الافيال

أُتي الى احد المرافئ الالمانية بعظام فيل كان علوهُ ١٦ قدمًا و ٩ عقد من قدمهِ الى اعلى كتفهِ فهو يزيد ٣ اقدام على اعلى الافيال التي وجدت قبلهُ

التعليم في اليابان

عدد سكان اليابان ٤٥ مليونًا وعدد سكان روسيا ١٤٠ مليونًا لكن عدد الاولاد الذين يتعلمون في المدارس في بلاد اليابان ٤٣٠٢٦٢٣ وعددهم في روسيا ٤١٩٣٥٩٤ فقط

توقيف المركبات

بحثت لجنة الاتوموبيل الفرنسوية عن المسافة التي تقف فيها المركبات التي تجرها الخيل اذا اريد توقيفها بغتةً ومركبات الاتوموبيل فوجدت انهُ اذا كانت السرعة سبعة اميال ونصف ميل في الساعة فالمركبة التي تجرها الخيل لا تقف تمامًا الاَّ بعد ٣٠ قدمًا واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٠ اقدام اي اذا كانت مركبة واتوموبيل جاريين معًا واريد توقيفهما حالاً فالمركبة لا تقف الاَّ بعد ٣٠ قدمًا واما الاتوموبيل فيقف بعد عشر اقدام واذا كانت السرعة ١٢ ميلاً في الساعة فمركبة الخيل تقف تمامًا بعد ٤٣ قدمًا و$\frac{١}{٣}$ قدم واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٦ قدمًا و$\frac{٣}{٤}$ القدم

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

٩٢٩ تقدم الجغرافية (مصوَّرة)

٩٣٥ الجواد العالِم

٩٣٧ كتاب روزبري عن نبوليون

٩٤٣ الزهد في الحياة . لفارس افندي الخوري

٩٤٦ عجائب الحرب

٩٤٨ حياة الجماد

٩٥٦ فلسفة الحرب الحاضرة . لجوزيف افندي دهان

٩٦١ خطبة الوزير بلفور

٩٧٠ سكة الحجاز . لمحمد افندي كرد علي

٩٨١ قوانين يوستنيانوس . للاستاذ سعيد افندي الخوري الشرتوني

* * *

٩٨٩ باب المراسلة والمناظرة * بورت آرثر والحرب الحاضرة . نفس العين وعين الاثر . اول تمثال في حمص . مقام العلم في اميركا . رسوخ الاوهام

٩٩٨ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ التمدن الاسلامي . ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد . تهذيب النفس . حدائق المنثور والمنظوم . كلمات في سبيل الحياة . تمريض المرضى . الكلمات الايطالية في العربية .

١٠٠٧ باب تدبير المنزل * مقام المرأة في انكلترا . تهذيب البنات

١٠١٠ باب المسائل * خزان اصوان وقناطر اسنا . بنك التصيب الجديد . الرجل والرضاعة . البيرا وشربها . فن التعليم . عدد الاوربيين والامريكيين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٩٠٠ . نسبة الرسوم والصور الى الحقيقة . الحروب . النيازك

١٠١٢ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٢ نبذة

رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل الخامس والعشرون

انتقام ثلث نساء

ولما خرجت املي افتتحت البرنسس غالتزن الكلام قائلة : —

— اظن اننا كلتينا صديقتا القائد غودارد · واقول لكِ اني سأحضر الاجتماع المزمع ان ينعقد هذه الليلة · ولا ريب في انهُ سيكون مشهداً مزعجاً لكِ · لكننا سنغنم فيهِ متعة الابتهاج بتبرئة صديقنا

— يسرني انكِ تعرفينهُ · وعندي ان غودارد عنوان كل فضلٍ وكرامةٍ · ولقد قُدّر لي وا اسفاهُ أن اكون سبباً لاصابتهِ باعظم ضرر

— اراكِ تبالغين في ذلك

— نعم اني لم اتعمدهُ ولكن النتيجة واحدة · ومن الغريب اني صبرت على حمل مصيبتي هذا الوقت الطويل كلهُ ولم ارزح تحت ثقلها الاَّ في تلك الدقيقة كما تعلمين · وفيما كنت عازمة على التصريح بانني انا التي اعطتهُ الورقة أُرتج عليَّ وخانني الكلام وغبت عن الصواب · ولست بناسية ماعشت هول تلك الساعة · فقد كان في امكاني ان أُبرئ ساحة غودارد بكلمة · وقد بذلت في ذلك غاية جهدي فذهب اجتهادي كلهُ باطلاً

— عندي انهُ خيرٌ لكِ ايها السيدة ان لاتحضري هذا الاجتماع · ولكِ فيهِ اصدقاء ينوبون عنكِ ويكفونكِ تحمل آلامٍ مبرّحة

— لا بل يجب عليَّ الحضور لداعٍ لا يمكن غضُّ النظر عنهُ · وذلك ليس لاجل تبرئة صديقي القديم — اذ لهُ من ينوب عني في هذا الامر كما ذكرت — بل للمحاماة عمن لايجد محامياً ولا مدافعاً — عمن يكون وحيداً في حالة تحرك عواطفي لمساعدتهِ — وهو زوجي !

— وهل يمكنك الدفاع عنهُ ؟ فلم يبقَ زوجكِ لانكِ طالق

— انهُ ابو ابنتي · فايُّ طلاقٍ شرعيٍّ يمنع مساعدتي لهُ ؟ لعلكِ ترمينني بضعف القلب ولكن هذا ما أُراهُ موافقاً لي ولستُ احول عما طبعتُ عليهِ من الشفقة والحنو

— لقد اخطأتِ مرادي ولعلكِ تدركينهُ اذا اخبرتك باني انا الشيطانة الجميلة

— الشيطانة الجميلة !

قالت السيدة ارلنفورد هذا بدهشة انهضتها على قدميها · فقالت البرنسس غالتزن : —

— هل راعكِ هذا ؟

— نعم راعني قليلاً لاني لم استعدَّ لمقابلة تلك — الشهيرة

— اذًا لو عرفتِ من انا لم تهتمي بمقابلتي

— نعم لو عرفتُ لابيتُ الاجتماع بحاملة هذا الاسم — الشيطانة الجميلة — مخافة ان يفضي بنا اجتماعنا الى مالا يرضينا كلتينا لاني لستُ في شيءٍ من آرائك. ومع هذا كلهِ اعترف لكِ باني رأيتكِ تختلفين كثيرًا عما توقعتهُ فيكِ

— اشكر لك هذا الاستدراك اللطيف . فقد صرَّحتِ بانهُ لاشيء في ظواهري يسلبني حق نظر الناس اليَّ بعين الاحترام — ولست بمنكرةٍ صلاحكِ وشرف عواطفك ولكنكِ قليلة الرفق ببنات جنسكِ . فلستُ ادري ماذا حملكِ على اساءة الظن في من لاتعرفين عنها شيئًا

— لا اعرف شيئًا ؟ — فقد سمعتُ —

— سمعتِ ؟ ولكن مرادي انكِ لم تعرفي وهذا يختلف عن السماع

— عفوًا ولكن لا تنسي أَن تلومي نفسكِ على ما يحدثهُ اسمك من التأثير في آذان السامعين .فمن ليس لها زوج —

— ان كان احترام المرأة مقصورًا على كونها ذات بعلٍ فانا حرية باكبر نصيبٍ منهُ . وفي عزمي ان أُطلعكِ على قصةٍ تسركِ الى الغاية فارعيني سمعكِ

فاظهرت السيدة الس علامات الإصغاء واخذت البرنسس غالتزن تقصُّ عليها ما يأتي: —

— " ان والدتي ماتت وانا بعد طفلة صغيرة . فعشت مع أَبي في قصرنا في لادوكا لا ثالث لنا سوى فتاةٍ صغيرة جُعلَت خادمةً لي ولكني اتخذتها رفيقةً وصديقةً . ففي احد الايام خرجت بي للتنزُّه واطالت شقَّة المسير حتى ابتعدنا كثيرًا عن قصرنا وأَوغلنا في الحراج المجاورة . وفيما نحن عازمتانِ على الرجوع سمعنا صوتًا بين الادغال انذرنا بوجود وحشٍ كبير مفترسٍ . ولم يلبث ان طلع علينا من الغاب دبٌّ هائل . فلما رأَيناهُ مقبلاً نحونا التصقنا احدانا بالاخرى واستحوذ علينا خوف لم يغادر فينا شيئًا من الرشاد . ولكن لحسن حظنا لم نُبطئْ أَن سمعنا صوت بندقية على مقربة منا . ورأَينا الدبَّ مجندلاً بدمائهِ . ثم خرج من الغابة رجلٌ يهنئنا بالنجاة و يعتذر عما نالنا بسببهِ من الخوف والذعر . وسار في حمايتنا الى القصر فاكرم ابي ملقاهُ ولاسيما حينما بلغهُ انهُ من اسرةٍ كريمة ذات وجاهةٍ ومكانةٍ . وكان هذا الرجل انكليزيًّا وقد جاء روسيا للصيد . واذ كان نازلاً في جوارنا أَخذ يتردد علينا يومًا بعد يوم حتى رأَيتُ نفسي تعلَّقت بمحبتهِ . اما أَخي الذي كان يكره هذا الانكليزي كرهًا

طبيعيًّا فكان قد تزوج تلك الفتاة — رفيقتي وصديقتي — وذهب بها الى بطرس برج حيث دُعي للانتظام في سلك الحرس السري . فلما اصبحنا وحدنا لم نكذّب أن اقتفينا مثال اخي فاقترنّا سرًّا خوفًا من ابي الذي كان حريصًا جدًّا على شرف اصلهِ الغالتزي . وفي الشتاء انتقلنا جميعًا الى بطرس برج

" فلما رأى اخي ان هذا الانكليزي باقٍ معنا اوجس خوف العاقبة وعزم على طردهِ من بطرس برج واخذ ينتهز الفرصة لمخاصمتهِ حتى سنحت لهُ أحد الامساء في النادي . فحدث بينهما خصام شديد فحقّر اخي زوجي كثيرًا وامتهنهُ امتهانًا لا يصبر عليهِ أحطُّ الناسِ قدرًا وادناهم شرفًا ودعاهُ الى مبارزتهِ وضرب لهُ اجلاً لذلك . لكنّ زوجي بعد خروجه من النادي سعى في ما اوجب القبض على اخي اذ لا يصعب في بلادنا الشقيَّة سلب الانسان حريتهُ بل حياتهُ لوقوع اقلّ تهمةٍ عليهِ !

" فتصوّري — ما استطعتِ التصوّر — شقاء حالي وكم سجمتُ من الدموع السخية عندما بلغني هذا النبأ المشؤوم ولاسيما إذ تحقّقتُ انّ اخي أُخذ بمكيدة زوجي ولم أُعد انظرهُ فيما بعد لانهُ مات ! لأن المأخوذ في روسيا بذنبٍ سياسي وان لم تقم الادلة الكافية على جريمتهِ لا يتعذّر اغتيالهُ بطريقةٍ أُخرى . ومن ذلك العهد توجهت افكاري نحو غرضٍ واحدٍ — الانتقام

" اما زوجي فنُفي من روسيا وشاع ان اللصوص هاجموا مركبتهُ على التخوم فكسروها وقتلوهُ وحينئذ التمستُ لنفسي تسلية عن هذه المكاره وخضت بحر السياسة الطامي ووقفت على خدمة البرنس سكولوف باقي ايامي . وبالاختصار صرتُ " الشيطانة الجميلة " . وذلك ما حلّق بهِ طائر شهرتي واوقع في قلوب الكثيرين خوفي وخشيتي . لكني والحق يشهد بقيت مع انهماكي بالسياسة منصرفةً نحو اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وتعزية الحزين وتفريج كرب المتضايقين . ولا تسألي كم من حياةٍ انتُشلت من وهاد القنوط على يدي ووقيت الارتطام بصخور اليأس الابدي . وفي إبَّان متاعبي واضطراباتي اجتمعتُ بالقائد غودارد . وقد سرني اني كُفيت تبعة الجناية ولم تُلطخ يداي بدم زوجي "

فلما فرغت من حديثها نهضت السيدة ارلنفورد وقالت بلسان السآمة والضجر : —

— أراكِ اكرهتني على الاصغاء الى حديث لا يهمني البتة ولكنهُ مكدِّر لك فقط

— ستعدلين عما قليلٍ عن هذا الرأي . فقد اتخذت هذه الحادثة مثالاً يناسب موضوع بحثنا وشاهدًا على قولي انهُ خيرٌ لكِ ان لا يكون لتعلّق المرأة بزوجٍ دخلٌ في احترام الناس

لها لانك لم تكوني قطُّ ذات بعل ! بل انت لنكد الطالع أمٌّ ولدٍ بزواجٍ غير شرعيّ !

— انا ! كيف تجسرين —

— اسمعي فأُخبركِ كيف أجسر . ان الرجل الذي سبَّب قتل اخي وقرينتهِ الحامل — الرجل الذي اتصيَّدهُ من مكان الى آخر تصيد الضواري الجائعة باقٍ حيًّا ! هو الرجل الذي تظنينهُ زوجك وهو بالحقيقة زوجي !

— ويلاهُ ! كذب ! لا يمكن ان يكون صحيحًا !

— اعلمي ان الرجل الذي جرَّدني من اسمي وشرفي ومكانتي واكسبني شهرةً ينقبض مني لاجلها سيداتٌ نظيرك ويعرضنَ عني بوجوهٍ باسرةٍ لا يبرح حيًّا وهو اللورد ارلنفورد المدعو قبلاً جون فاين

— انكِ تقولين هذا تشفيًا وانتقامًا لاني غظتك بكلامي مع اني لم اتعمَّد ذلك . فاجثو الآن امامك واتضرَّع اليكِ ملتمسةً الوقوف على الحقيقة . فهل تقسمين لي ان ماتقولينهُ صحيح ؟

— أُقسم لكِ انهُ صحيح وسأُبينهُ بالادلة الكافية

ثم دخلت املي دشتون فوجدت السيدة ارلنفورد مغشيًا عليها عند قدمي البرنسس غالتزن

وبعد نصف ساعة رجعت البرنسس غالتزن الى منزلها فوجدت البرنس سكولوف جالسًا ينتظر قدومها بفروغ صبرٍ فلما رآها نهض لاستقبالها وقال : —

— قد جئت لاطلاعك على عراقيل جديدة عرضت لنا ولم يبلغك خبرها بعد — ما هي ؟

— ان مقام اللورد ارلنفورد تغيَّر من حيث علاقتهُ بزوجتهِ تغيُّرًا مهمًّا — لا اظن

— بلغني ان الس راغبة في ان تنسى الماضي وتعفو عما حدث وترجع الى زوجها

فاجابتهُ باسمةً : —

— لست مصيبًا ايها البرنس فيما نقلتهُ فالسيدة الس لاتروم ان تنسى وتعفو وليست في شيءٍ من عزم الرجوع الى زوجها لانها لم تكن قط طالقًا

فاوجس البرنس خوف اختلالٍ في قوى البرنسس العقلية لكنهُ كتم اهتمامهُ بهذا الامر وقال لها بكل بساطةٍ : —

— لستُ افهم مرادكِ . أراكِ تتكلمين بالالغاز . — وتودُّ لها حلاًّ وتوضيحًا

— ممن اقف على ذلك ؟ — من السيدة ارلنفورد نفسها

— اودُّ الاجتماع بها فهل تظنينها تروم مقابلتي ؟

— لاريب في انها تسرُّ بمقابلتك كل السرور

— واين هي الآن ؟ هل لكِ ان تخبريني ؟ — هنا

— هنا ! اين ؟ — في هذه الغرفة امامك

— ناشدتك الله قولي لي ماذا ماذا تعنين بهذا ؟ — اعني اني انا هي

قالت هذا بكل بساطةٍ واستوت على كرسي مقابلهُ . فمرَّت عليهما بضع دقائق لم يفوها فيها ببنت شفة . ثم وثب البرنس على قدميهِ وصرخ :—

— فهمت ! الآن فهمت ! تزوجت هذا الرجل في روسيا اليس كذلك ؟ — بلى

— وهذا الخبيث تمكَّن من الوصول الى خزانتك وسرق كتابي — نعم

— هل يعلم بهذا أُحد ؟

— نعم فقد قابلت المرأة التي ادَّعى زواجها (الس) اليوم بعد الظهر واطلعتها على كل شيءٍ لانهُ حان الوقت

— وماذا أَصابها عند اطلاعها على هذا الخبر ؟ — كما تتوقَّع

— وعلى مَ عزمتِ الآن ؟

— انَّ هذا آخر ما عندي لحمل ارلنفورد على الإِقرار بما جناهُ على غودارد وبعد إِقرارهِ وتبرئة القائد المذكور لا يصعب عليَّ الغاءُ زواجنا لأَنَّ طول المدة وعروض تلك الحوادث— هذا كلهُ يمكنني من التخلُّص منهُ . اما انت فلستَ في حاجةٍ الى مساعدٍ على تنفيذ قوتك وادراك مرادك

— وبعد هذا ؟

فتورَّدت البرنسس واطرقت لا تبدي جوابًا فقال :—

— لا بأْس . فقد وعدتكِ اني اهتمُّ بما فيهِ سعادتك مؤْثرًا هذا على الاهتمام بسعادة نفسي . وسوف ازيدكِ على هذا الامر برهانًا بعد برهان ما شاءَ الله من الزمان . ففي الساعة التاسعة نجتمع في منزل المستر بركز ولا بدَّ ان ارلنفورد يحاول بوقاحتهِ المعهودة الافلات من الاشراك التي نصبناها حولهُ . ولهذا ساذهب مسلَّحًا بافعل الوسائط واقوى الوسائل التي لنا في البوليس السري

— وهل تستطيع ذلك ؟ — هنا في انكلترا ؟

- أَنسيت ان جون فاين كان لنكدالحظ عضوًا في الفرقة الثالثة ؟

— أَنسيتَ أَني لن أَنسى هذا مدى العمر ؟

— إِعلمي إِذًا انهُ مع عدم وجود معاهدة رسمية بين الحكومتين في تسليم المذنبين فيد

جلالة القيصر تستطيع القبض على عبيدهِ اين كانوا . أُتركي هذه المسألة لي

— بمزيد الرضى والسرور . فاذاً الى المساء — عن قريب

وفي الساعة الثامنة جلس المستر سنسناتوس بركز في مكتبتهِ يكتب رسالةً . وبعد ما فرغ القى يراعهُ من يدهِ وقوّم ظهرهُ على كرسيهِ ورفع الرسالة بيدهِ وقال في نفسهِ بعدما اكمل تلاوتها :—

— هذا يكفي

وهذا تعريب رسالتهِ :—

"سيدي المستر سافيل

" يسؤني ان اخبرك ان اللورد ارلنفورد يأبى انتهاز فرصة الفرار من الجلسة المراد عقدها هذه الليلة في بيتي . وقد عزم ان يشهدها متحوّطاً ومعداً لها امضى اسلحة الدفاع . فان لم تكن اسلحتك امضى من اسلحتهِ تمكنت ابنة عمي — الفتاة الغبية الطائشة — من الحصول على ما يورثها الخراب والدمار ويوردها موارد التلف والبوار . ولا يغرب عنك انهُ وغد وقد بلغ غاية النذالة والدناءة وافرغ جعبة احتيالهِ في اجتذابها اليهِ معللاً نفسهُ بالتعويل عليها وتحويل كل اذيةٍ اليها وقد عجّلتُ في اطلاعك على هذا لكي تكون على بصيرةٍ وتأتي الجلسة متأهباً للحمل عليهِ التأهّب التام . وفي اقرب وقتٍ اتوقّع زيارتهُ لي والسلام — صديقك المخلص

سنسناتوس بركز"

ثم طواها وعنونها باسم دك سافيل ودفعها الى الخادم وامرهُ بسرعة ايصالها الى صاحبها . ورجع يفتّش اوراقهُ قائلاً :—

— اين وضعت كتاب تلك الفتاة الشقيّة ؟

ولما وجدهُ فتحهُ وقرأ فيهِ ما تعريبهُ :—

" ابن عمي العزيز

" لا انكر فضلك العميم . لكني بلغت من العمر ما يمكنني من العناية بنفسي . ولو رضيتك وصياً او قيّماً عليَّ لكنت اقترنت بك من سنين طويلة . ويسؤني القول اني لا اقدر ان ارثي لحالة السيدة التي كانت زوجة للورد ارلنفورد . ويجب ان افضل العمل باشارة زوجها على اجابة التماسها والسلام"

— يالك من فتاةٍ شقيّة وجاهلةٍ غبيّة . ألا تعلمين اني لاجلك اتيتُ اوربا والاَّ كنتِ طوّحتِ بنفسك الى دركات الشقاء والدمار . وأُخذتِ بخداع هذا الكاذب العيّار . وانت

يا سيدي ارلنفورد اظنك بلغتَ غاية شوطك وقد أعددُت لك شركاً لا تقوى على الافلات منهُ . واني لأشكرك بل اشكر العناية التي قدرت لي ان أشاهد بداءة ونهاية أغرب حادثة جرت في لندن

واذ ذاك دخل الخادم يعلن قدوم دك سافيل فقال بركز : —

— اهلاً بالمستر سافيل . أراك جئت قبل الوقت . اذًا لم يصلك كتابي

— لم أرَ منك كتاباً . وقد جئت لاقف على مجرى الاحوال . واحضرت صورة الإقرار المطلوب من ارلنفورد توقيعهُ وهو في نسختين هاتان هما

فاخذهما بركز ونظر فيهما نظرة المتفحّص وقال : —

— هل يكتفي غودارد باقرار كهذا ؟

— نعم يكتفي ان يوقع ارلنفورد هذا الاقرار ويبرح انكلترا في الحال

—وهل تظنهُ يفعل هذا ؟ — لا اعلم

— وعدني انهُ يكون هنا الساعة التاسعة . ولما نصحتهُ بالعدول عن طلب التزوج بابنة عمي وانذرتهُ بسوء العاقبة أبى قبول النصح ولم يبالِ بالانذار. فعسى البارونة التدروف أن تحقق ما قالتهُ لي من جهة حصولها على قوة كافية لردعهِ . واقول لك ان محاولة كبح جماحهِ وترويضهِ ليست من الهنات الهينات

— ويسرني جدًّا انك تخلصت منهُ على رغم تعلق ابنة عمك بهِ

— كيف ؟ وهل تخلصنا منهُ ؟

— نعم فانهُ بعد الحادثة التي طرأت لم يعد يهمهُ الاقتران بها

— اية حادثة تعني ؟

— حادثة حصولهِ على ثمانية آلاف جنيه في السنة ! فهل دار في خلدك ان شرّ خلق الله يفوز بمحبة افضل النساء ؟ ان السِ تروم الان الرجوع اليهِ وقد رضيت ان تعطيهُ ثمانية آلاف جنيه في السنة . وهي مستعدة لترك انكلترا معهُ

— متى تصل البارونة — الشيطانة الجميلة ؟

— في الوقت المطلوب . ان هذه المرأة سرٌّ غريب وقوتها فائقة الادراك . ولسوف تكون ليلتنا هذه ليلة شديدة الاهوال . وسأذهب الآن للتفتيش عن امرأتي وبعد ربع ساعة اعود

وبعد خروجهِ دخل الخادم واعلن قدوم اخي املي دشتون فاخذت بركز الحيرة والانقباض وقال : —

— كرتر؟ الماجور هومر كرتر؟ اني اعرف الاسم بعض المعرفة واما مسماهُ فلا اذكرهُ

فقال لهُ الخادم: —

— يقول صاحب هذا الاسم انهُ يروم مقابلتك دقيقة واحدة

— قل لهُ يدخل

فدخل الماجور كرتر وقال: —

— اجتمعنا مرة في بيت اللورد ارلنفورد

— تذكرت الآن. فماذا تروم مني؟

— ارسلني اللورد ارلنفورد لاخبرك بانهُ لا يستطيع الحضور في الوقت المعيَّن

— هكذا توقَّعت واظنُّهُ —

— عرض لهُ امرٌ لم يكن في الحسبان فجئتك معتذرًا عنهُ لئلاَّ تغتاظ من تأخرهِ في المجيء. ويسرني أن انتهز هذه الفرصة للبحث قليلاً في الحوادث الجارية المكدّرة. فان السيدة ارلنفورد عزمت ان تعرض على زوجها شيئًا وقد نصحت لهُ ان يقبلهُ

— وهل يهمني اقتراحها هذا؟

— الى الغاية لانهُ اذا تمَّ عدل ارلنفورد عن الاقتران بابنة عمك

— سمعت شيئًا من هذا منذ بضع دقائق. واظنك لا تجهل ان حرية ارلنفورد الشخصية تتوقف على الاجتماع الذي ينعقد هذه الليلة

— حريتهُ؟

— في هذا الاجتماع يطلب منهُ الاقرار باشتراكهِ في المكيدة التي سببت خراب القائد غودارد. فاذا ابى الاقرار واصرَّ على الانكار اثبتنا الجرم عليهِ وعلى كل شريك لهُ في جنايتهِ

— اني على رغم صداقتي لارلنفورد مضطرٌّ الى الاعتراف بشدة كدري من اشتراكهِ في تلك الحادثة المحزنة

— هكذا توقعت. وهذا ما جرَّأني ان التمس منك شيئًا بهذا المعنى. فاذا اردنا الاعتماد على شهادتك تعجيلاً لقضاء الامر فكم تطلب عليها؟

— خمسماية جنيه

— ستحصل على هذا المبلغ بعد نهاية الاجتماع. واذا شئت فاذهب الآن وارجع بعد نصف ساعةٍ

— سمعًا وطاعة

ROOSEVELT
Präsident der Vereinigten Staaten von N.-A.

روزفلت رئيس الولايات المتحدة